أثر السياق في معاني آيات الإنفاق

دراسة تفسيرية موضوعية من خلال سورة البقرة

The effect of context on the meanings of verses on spending, an objective interpretive study through Surat Al-Baqarah

إعداد

د/ دعاء عفيفي عبد الرؤف عفيفي

مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فرع البنات- القاهرة

أثر السياق في معاني آيات الإنفاق
دراسة تفسيرية موضوعية من خلال سورة البقرة

دعاء عفيفي عبد الرؤف عفيفي
مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن جامعة الأزهر -كلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات- القاهرة
البريد الإلكتروني DoaaAfifi.el20@azhar.edu.eg

الملخص :
هذا البحث دراسة تفسيرية موضوعية لآيات الإنفاق في سورة البقرة، وبيان أثر السياق في معاني هذه الآيات، وقد اهتممت في هذا البحث بإبراز مقاصد الآيات القرآنية موضوع الدراسة، دون الخوض فيما لا يتوقف عليه بيان المعنى، ذلك أن هذه الدراسة تهدف إلى توضيح أثر السياق في كل آية ورد ذِكْرُ لفظ الإنفاق فيها ورودًا صريحًا، وبيان ما يعنيه اللفظ في موضعه، وما يتبع ذلك من رَبْط للآيات السابقة واللاحقة مع الآية موضع الدراسة؛ إظهارًا للوحدة الموضوعية بين ألفاظ الإنفاق في السورة الكريمة من جانب، وبينها وبين موضوع السورة الكريمة ككل من جانب آخر، وكذلك ما يترتب على توضيح أثر السياق في الآية من استنباط المقصود بلفظ الإنفاق فيها، أهو الواجب أو المندوب أو صدقة التطوع؟ ، كما تناولت هذه الدراسة الحديث عن الإنفاق المقبول وشروطه، وكذلك أثره العائد على المُنْفِق في الدنيا والآخرة، بما يعزز قيمة التخلق به، وما له كذلك من أثر على المجتمع ككل؛ حيث يعمل على تأسيسه وصيانته وحفظه من كثير من الشرور، متمثلًا ذلك في نَزْعِه الكراهية والحقد والغل والحسد من النفوس، وتأليفه بين القلوب، وربْطِها برباط الأخوة والمحبة والمودة، وتعويدها الإنفاق والبذل والإيثار، وقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى وجوب المبادرة من الإنسان بالإنفاق؛ لأن الأحوال تتغير، والفُرَص تنقضي، كما توصلت إلى أن لفظ الإنفاق بصِيَغِه المتعددة الواردة بالسورة الكريمة قد تناول كل أنواع الإنفاق؛ حيث شمل ما كان من قبيل المفروض منه كالزكاة الواجبة على الإنسان في ماله، وما كان من قبيل التطوع، بل امتد ليشمل أيضًا ماهو من باب الاستعداد للقتال وتجهيز الجيوش.
واعتمدت الدراسة في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وجاءت في مقدمة وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة بها أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: السياق، الإنفاق، أولويات، ضَرْب الأمثال، أثر.

The effect of context on the meanings of verses on spending, an objective interpretive study through Surat Al-Baqarah

Doaa Afifi Abdul Raouf Afifi
Lecturer in the Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Al-Azhar University - Faculty of Islamic and Arab Studies, Girls Branch - Cairo
Email DoaaAfifi.el20@azhar.edu.eg

Abstract:
This research is an objective explanatory study of the verses on spending in Surah Al-Baqarah, and explaining the effect of context on the meanings of these verses. In this research, I was interested in highlighting the purposes of the Qur'anic verses that are the subject of the study, without delving into what the statement of meaning does not depend on, because this study aims to clarify the effect of context on Every verse in which the word spending is explicitly mentioned, explaining what the word means in its place, and the subsequent linking of the previous and subsequent verses with the verse under study. Demonstrating the objective unity between the words "spending" in the Noble Surah on the one hand, and between them and the subject of the Noble Surah as a whole on the other hand, as well as the consequences of clarifying the effect of context in the verse in deducing what is meant by the word "spending" in it, is it obligatory, recommended, or voluntary charity? This study also discussed acceptable spending and its conditions, as well as its impact on the spender in this world and the hereafter, in a way that enhances the value of being creative with it, and the impact it also has on society as a whole. It works to establish, maintain, and protect it from many evils, which is represented by removing hatred, hatred, malice, and envy from souls, uniting hearts, linking them with the bond of brotherhood, love, and affection, and accustoming them to spending, giving, and altruism. Through this study, I have concluded that it is necessary for a person to take the initiative in spending. Because conditions change, and opportunities pass, and I also concluded that the word "spending" in its multiple forms mentioned in the Noble Surah covers all types of spending. It included what was obligatory, such as the zakat obligatory on a person on his wealth, and what was a matter of volunteering. Rather, it also extended to include what was a matter of preparing for battle and equipping armies.
The study in this research relied on the inductive and analytical approach, and consisted of an introduction and introduction, six sections, and a conclusion with the most important results and recommendations.

Keywords: Context, Spending, Priorities, Proverbs, Impact .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله الجواد الكريم، الرزاق العليم، المتفضل على عباده بالخير العميم، وصلاة وسلامًا على أجود خلق الله أجمعين سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد،،،

فإن الإنفاق خُلُقٌ كريم، حث عليه القرآن الكريم ودعا إليه في آيات كثيرة، وما ذلك إلا لأهميته وعظيم أثره المتمثل في إشاعة الود والمحبة والألفة بين القلوب، فضلًا عن دوره الكبير في إصلاح النفس البشرية، بل في إصلاح المجتمع ككل، وورود الحديث عن الإنفاق في سورة البقرة والتي مبناها الرئيس هو بناء القاعدة الأساسية التي يقوم عليها الدين الإسلامي يؤكد ذلك.

سبب اختيار الموضوع

قراءتي لقول الله تعالى:﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(١)، فأول ما يندم المرء على التفريط فيه ويتمنى العودة إلى الدنيا ليستزيد منه هو الإنفاق، كذلك الدور الكبير للإنفاق في إصلاح الكثير من الأمراض المتفشية في المجتمع.

(١) سورة المنافقون/ آية ١٠

إشكالية البحث

استوقفني أثناء قراءتي لسورة البقرة ورود لفظ الإنفاق الصريح فيها بصيغٍ متعددة، هذه السورة التي عنيت أيّما عناية بالحديث عن التشريعات المختلفة التي بها قيام الدين الإسلامي ،

ومن هنا دار في ذهني تساؤلٌ، هل لورود لفظ الإنفاق في كل موضع من السورة معنى مختلف عن غيره من المواضع؟، وهل لسياق كل لفظ فيه أثر مختلف عن غيره من بقية الألفاظ؟، وإذا كان ذلك كذلك، فما الحكمة من تعدُّد صِيَغ وروده؟

ومن هنا آثرت الكتابة في هذا الموضوع وجعلت عنوانه:

أثر السياق في معاني آيات الإنفاق دراسة تفسيرية موضوعية من خلال سورة البقرة،

ثم قمت بتحديد الأهداف من الدراسة .

أهداف دراسة الموضوع

- بيان معنى الإنفاق، وأثر السياق في معانيه الواردة في السورة، وضوابط المقبول منه والتي حثت عليها الآيات الكريمة .
- بيان فضل الإنفاق على المُنْفِق في الدارين.
- توضيح أثر الإنفاق الصحيح على الفرد والمجتمع.

خطة البحث:

أما عن خطة الكتابة في هذا الموضوع فهي كالتالي:

تقسيم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على سبب اختيار الموضوع، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

التمهيد: ويتضمن التعريف بالسياق في اللغة والاصطلاح، وأهميته.

المبحث الأول: التعريف بالإنفاق.

المبحث الثاني: توسط الإنفاق بين العقيدة والعبادات.
المبحث الثالث: الأمر الصريح بالإنفاق.
المبحث الرابع: أولويات الإنفاق.
المبحث الخامس: الإنفاق وضَرْب الأمثال.
المبحث السادس: أثر الإنفاق على الفرد والمجتمع.
الخاتمة: وتشتمل على نتائج البحث والتوصيات المقترحة، وكذلك فهرس المراجع والمصادر المعتمَد عليها في كتابة البحث، وفهرس موضوعات البحث.

منهج الدراسة

تعتمد الدراسة في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، المتمثل في استقراء وتتبع ألفاظ الإنفاق الصريحة في آيات سورة البقرة مع الاستنباط والتحليل لها؛ لبيان أثر السياق في معنى كل آية منها.

ومن خلال هذا المنهج، كانت خطوات العمل في هذا البحث متمثلة في الآتي:

١-جمْع الآيات القرآنية محل الدراسة، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة ما احتاج الأمر إلى ذلك.

٢-تقسيم الموضوع إلى عناصر، وحصْر ما يتعلق بكل عنصر منها من آيات الإنفاق داخل السورة الكريمة، ثم عرْض هذا العنصر في هيئة مبحث ما تيسر ذلك؛ لبيان أثر السياق فيه، وفيما لا يتيسر جمْعه وضْع عنوان مناسب للآية.

٣-جمْع ما تيسر جمْعه من أقوال العلماء حول عنوان كل مبحث.

٤-آثرت عند عرضي للمباحث وترتيبها داخل البحث، ترتيب الآيات القرآنية داخل السورة الكريمة في أول ورود للفظ الإنفاق بها، دون النظر إلى وروده في موضع آخر متأخر بالسورة.

٥-الاعتماد في جمعي لأقوال العلماء على ما تيسر لي الرجوع إليه من أمهات الكتب، مع الاستعانة بالمراجع الحديثة التي يستفاد منها في دراسة الموضوع.

٦-توثيق النقول بنسبتها إلى مصادرها، مع الإشارة إلى التصرف فيها، إن تم التصرف في النص المنقول أو تم اختصاره.

٧-مراعاة التدرج في توثيق النقول الأقدم فالقديم، وترتيب المراجع في الحاشية وفق ذلك.

٨-الاكتفاء بذكر البيانات الخاصة بالمرجع كالمة عند ذِكْرِه لأول مرة فقط .

٩-عزو الآيات القرآنية المستشهد بها في البحث إلى سورها بإثبات اسم السورة ورقم الآية بالحاشية، وفي حالة الاستشهاد بجزء من الآية أو الحديث يشار إلى ذلك بكتابة كلمة (جزء) في الحاشية .

١٠- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها المعتمدة.

١١- بيان معاني الكلمات التي تحتاج إلى بيان بالهامش.

١٢- الضبط بالشكل للكلمات التي تحتاج إلى ضبط مما تَشْكُل قراءته ويلتبس نُطقه.

١٣- تذييل البحث بخاتمة، تشتمل على أهم نتائج البحث، كما تشتمل على بعض التوصيات، وفهرس المراجع والمصادر التي تم الاعتماد عليها في البحث، وفهرس لموضوعات البحث؛ تيسيرًا للرجوع لما اشتمل عليه البحث.

وبعد

فأسأل الله العظيم أن يجعلني مِن عباده المنفِقين ماله حق الإنفاق، وأسأله أن يتقبل عملي هذا، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لغيري، وأن يغفر لي ما كان به من خطأ أو تقصير، إنه -ﷻ- ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دعاء عفيفي عبد الرؤف

تمهيد

التعريف بالسياق

المقصود بالسياق في اللغة:

السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء. يقال ساقه يسوقه سوقًا. والسَّيِقة: ما استيق من الدواب. ويقال سقت إلى امرأتي صداقها، وأسقته. والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء."[١] ، وأصل كلمة سياق: سِوَاق، فقلبت الواو ياء لكسرة السين، وهما مصدران من ساق يسوق." [٢] ، وتساوقت الإبل تساوقًا: إذا تتابعت." [٣] ، ويقال: وَلَدَتْ فلانة ثلاثةَ بنينَ على ساقٍ واحد، أي بعضُهم على إثر بعض، ليست بينهم جارية... والسِياقُ: نَزْعُ الروحِ. يقال: رأيت فلاناً يَسوقُ، أي يَنْزِعُ عند الموت."[٤] ، ومن المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يُساق

---

(١) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)،١١٧/٣،(مادة: سَوُقَ) ،المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر،عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٦ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ٤٢٤/٢،(مادة:سوق)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م،تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥ .

(٣) تهذيب اللغة ،المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، ١٨٥/٩، (مادة:سوق)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.

(٤) يراجع الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، ١٤٩٩/٤، ١٥٠٠، (مادة: سوق)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة =

الحديث، وهذا الكلام مَسَاقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سُوقِهِ: على سرْدِه." [1]

<u>من خلال ما سبق ذِكْره يتبين أن:</u> السياق في اصطلاح اللغويين يدور معناه حول التتابع والتوالي والجَمْع والاتصال والتسلسل؛ فَحَدْو الشيء تتابعه، وسَوْق الدواب والإبل مِنْ تتابعها واتصال بعضها ببعض، ومهر المرأة الذي كان في أصله إبلًا أو دوابًا تُسَاق إليها ثم استعمل بعد ذلك في الأموال على اختلاف مسمياتها، والسوق لِمَا يُتَابع ويُجْمَع إليه من البضائع، وكذلك الاتصال والتسلسل فيمن ولدت ثلاثةَ بنينَ لم يُفْصَل بينهم بجارية، وسياق المريض لِما أن الروح فيه تُجْمَع وتنساق لتخرج من البدن، وسياق الكلام مِن تتابعه وتسلسله وتواليه.

المقصود بالسياق في الاصطلاح:

اختلفت آراء العلماء في تعريفهم السياق اصطلاحًا على الرغم من أنه منصوص عليه منذ القِدَم، فنجد أن الإمام الشافعي –رحمه الله– ينص عليه في رسالته بتبويبه بابًا باسم(الصنف الذي يُبَيِّن سياقه معناه)[2] ، ثم يورد بعد

=

١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٦ .

(١) أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ٤٨٤/١ ، (مادة: س و ق)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٢ .

(٢) الرسالة، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، ص٦٢، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م .

ذلك الأمثلة التي تُبيِّن دلالة السياق على المعنى، ومن ذلك قوله: " قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[١]

فابتدأ –جل ثناؤه– بِذِكْرِ الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال:﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾، دلَّ على أن المراد بالقرية أهلها؛ لأن العدوان من القرية لا يكون في السبت ولا غيره، وعليه فالمقصود بعدوانها هو عدوان أهلها الذين بلاهم بما كانوا يفسقون." [٢]

ولعل السبب في اختلاف آراء العلماء في ذلك:

أن المتقدمين لم ينصوا على تعريفه اصطلاحًا، وإنما نصوا على أهميته وبعض آثاره كترجيح المحتمل، وبيان المجمل، وعود الضمائر، ودفع ما يتوهم أنه تعارض بين الآيات وغير ذلك،

فقد ذكر الإمام ابن قتيبة في منهجه الذي سار عليه في كتابه المفردات أن هذا المنهج عبارة عن استباط المعاني من خلال كتب المفسرين، وأهل اللغة، سائرًا فيه على مذاهبهم، إلا أنه سلك في اختياره للمعنى مسلكًا خاصًا به هو: اختيار أولى الأقوال في المعنى عند أهل اللغة وأشبهها بقصة الآية ، وهذا هو المعروف بالسياق." [٣]

---

(١) سورة الأعراف / آية ١٦٣.

(٢) يراجع الرسالة للإمام الشافعي ص٦٢.

(٣) يراجع غريب القرآن، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، ص ٤، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

وقد أثنى بدر الدين الزركشي على منهج الراغب الأصفهاني هذا وهو يتحدث عن تفسير بعض آيات القرآن والتي لم يرد فيها نَقْلٌ عن المفسرين؛ بِذِكْره اعتناء الراغب الأصفهاني بالنظر إلى معاني تلك الألفاظ في لغة العرب ، وزيادة على ذلك ذِكْر الراغب لقيدٍ آخر هو: تفسير مدلول هذه الألفاظ حسب سياقها ."[١]

وكذلك كان رأي الإمام الشاطبي في مراعاة السياق؛ حيث ذكر أن السورة القرآنية الواحدة قد ينزل فيها موضوعات عديدة، وعليه فلابد لِمَنْ يقرؤها ويتناولها بالفهم والإيضاح من رد آخر الكلام على أوَّله، والعكس بالعكس، حتى يتوصل إلى المراد الصحيح من آياتها، فالاقتصار عنده في فهم معنى الآيات على بعض الكلام دون البعض أمر غير صحيح." [٢]

فمراعاة السياق عند هؤلاء العلماء قد جُعِلت مظهرًا من مظاهر الاعتدال في التفسير المؤدي للفهم الصحيح.

كذلك لوحظ مراعاة السياق بصورة واضحة في كتب الوجوه والنظائر التي جمعت للمفردة القرآنية الواحدة معانٍ متعددة يعود للسياق الفضل في اكتسابها لهذه المعاني في ضوء مدلولاتها اللغوية في المعاجم.

---

(١) يراجع البرهان في علوم القرآن، المؤلف: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، ١٧٢/٢،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، عدد الأجزاء: ٤ .

(٢) يراجع الموافقات المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، ٢٦٦/٤، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٧ .

مما سبق نستطيع القول بأن معنى السياق في الاصطلاح يدور حول: تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده، فهناك ترابط وثيق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظ السياق.

وعليه فيكون المقصود بالسياق القرآني: تتابع المفردات والجمل المترابطة بالآيات القرآنية لأداء المعنى.

أهمية السياق القرآني

إن للسياق القرآني أهمية كبيرة في تفسير كلام الله -ﷻ-، فهو ركن ركين من أركان هذا العلم، إذا أخذ به المفسر انتهى- بحسب طاقته- إلى مراد الله ووصل إلى مبتغاه، وإن أهمله وقع في مواطن الخلل ومواضع الزلل.

وتكمن أهمية السياق القرآني وأثره في كونه معدودًا من تفسير القرآن بالقرآن، كذلك من إعمال النبي -ﷺ- للسياق القرآني واعتباره له في التفسير، وكذا إعمال الصحابة -رضي الله عنهم- ، كما أن للعلماء أقوالًا في اعتبار السياق وأثره، وله كذلك آثاره المتعددة في التفسير."[١]

وتفصيل القول في أهمية السياق القرآني وأثره كالآتي:

- السياق القرآني من تفسير القرآن بالقرآن .

يستمد السياق القرآني أهميته من كونه تفسيرًا للقرآن بالقرآن نفسه حيث إنه – كما أوضحت سابقًا- عبارة عن: تتابع المفردات والجمل المترابطة بالآيات القرآنية لأداء المعنى، وهذا الصنف من التفسير للقرآن الكريم – أي بالقرآن نفسه- هو أفضل طرق التفسير وأصحها؛ لأن ما أُجْمِل

(١) يراجع دلالة السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير للدكتور عبد الحكيم بن عبد الله القاسم الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود ص٧٤ .

منه في موضع، فقد بُسِطَ في موضع آخر، كما أنه لا أحد أعلم بمراد الكلام من المتكلِّم نفسه، فإذا تبين مراده من الكلام نفسه، فإنه لا يُعْدَل عنه إلى غيره، من ذلك قوله تعالى:﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١) ، فَسَّرُه قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾(٢)"(٣) ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾(٤) فسره قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾(٥)؛ لأنهم جعلوا الملائكة إناثًا في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ ﴾(٦)، فقالوا: عليهم هم بنات الله جهلاً بحق الله -ﷻ-، وتجرءًا منهم على قول الكذب. "(٧)

(١) سورة البقرة/ آية٣٧ .

(٢) سورة الأعراف/ آية ٢٣.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، ٥٤٦/١، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٤.

(٤) سورة الزخرف/ آية١٧ .

(٥) سورة النحل/ آية ٥٨.

(٦) سورة الزخرف/ جزء آية ١٩.

(٧) يراجع جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) ٥٨١/٢١.

- إعمال النبي -ﷺ- للسياق القرآني واعتباره له في التفسير .

ثَبَتَ اعتبار النبي-ﷺ - للسياق عند تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم مما يدل على أهميته، من ذلك ما روي عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: " لما نزلت: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾[1]، شَقَّ ذلك على أصحاب رسول الله -ﷺ-، وقالوا: أيُّنا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله -ﷺ- : **﴿ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه:** ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[2] **﴾**[3]

فالنبي -ﷺ- قد استخدم دلالة السياق القرآني في بيان المعنى، ثم نَبَّه على أن الظلم قد يُطْلَق ويراد به الشرك كما في قول لقمان -عليه السلام- لابنه الوارد في الآية الكريمة.

- إعمال الصحابة – رضوان الله عليهم- للسياق القرآني واعتبارهم له في التفسير.

مما يدل على أهمية السياق القرآني في تفسير كلام الله -عز وجل- إعمال الصحابة -رضي الله عنهم- له عند تفسيرهم كلام الله تعالى، فأهميته تُستَمد من إعمال الصحابة له، إذ يُعَدُّ قول الصحابي في التفسير الأصل الثالث من أصول التفسير بعد تَطَلُّبِهِ مِن القرآن نفسه ثم مِن السنة النبوية.

---

(١) سورة الأنعام/ جزء آية ٨٢ .

(٢) سورة لقمان/ آية ١٣ .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، ١١٤/١، رقم (١٢٤) . المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ،المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٥ .

يؤكد على هذا المعنى ما قاله الإمام ابن كثير: "وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لاسيما علماءهم وكبراءهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنهم أجمعين-." (١)

ولعل ما ذكره الإمام ابن كثير -رحمه الله- من مناقب للصحابة -ﷺ- هو ما جعلهم أعرف الناس بمقاصد القرآن الكريم وسياقه العام.

ومن أمثلة ذلك: ما ثبت أن عروة بن الزبير -ﷺ- سأل السيدة عائشة -رضي الله عنها- قائلًا: أَرَأَيْتِ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾(٢)، فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة، قالت: "بئس ما قلتَ يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أَوَّلْتَهَا عليه، كانت: لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المُشَلَّلِ، فكان مَنْ أَهَلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا، سألوا رسول الله -ﷺ- عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ٨/١، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨ .

(٢) سورة البقرة/ جزء آية ١٥٨.

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ ﴾ الآية، قالت عائشة -رضي الله عنها- وقد سَنَّ رسول الله -ﷺ- الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما."[1]

فقول أم المؤمنين السيدة عائشة – رضي الله عنها-:" إن هذه لو كانت كما أوَّلْتَها عليه، كانت: لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما" إنما هو إنكار على عروة -رضي الله عنه- ما فهمه من إباحة عدم الطواف بالصفا والمروة؛ ذلك أن الإباحة تحتاج إلى رفع الإثم عن تارك الفعل نفسه، وهذا مما لا يدل عليه سياق الآية الكريمة، وبَيَّنت – رضي الله عنها- أنه لو أريد بها المعنى الذي فهمه عروة -رضي الله عنه- لكانت سياقها: (فلا جُناح عليه أن لا يتطوف بهما).

(١) صحيح البخاري كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة وجُعِلَ من شعائر الله ١٥٧/٢، رقم (١٦٤٣) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩ ، "مَنَاة الطاغية صنم نَصبه عَمْرو بن لحي لجِهَة البحر مِمَّا يَلِي قديدًا، المُشَلَّلِ مَوضِع بِقديد مِنْ ناحية البحرِ، وهو الجبلُ الذي يُهْبَطُ إليها منه." فتح الباري شرح صحيح البخاري =

=المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،(١٨٨/١ ، ١٩٠)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣.

- كلام العلماء في اعتبار السياق وأهميته وأثره.

أدرك العلماء أهمية السياق القرآني وأثره منذ القِدَم، فأقوالهم زاخرة ببيان ذلك، **فقد ذكر الإمام البغوي في مقدمة تفسيره:** جواز تأويل أهل العلم للقرآن الكريم، شريطة احتمال اللغة له وموافقته للسياق، وعدم مخالفته للكتاب والسنة ." (١)

أما عن آثار السياق فمنها: تبيين المجمل، وترجيح المحتمل، وتقرير الواضح، وهذا كله يكون بِعُرفِ الاستعمال، فالصفات المستعملة في سياق المدح تكون مدحًا، والصفات المستعملة في سياق الذم تكون ذمًا، أما إذا ما وقعت صفة مدح في سياق الذم فحينذاك تكون ذمًا واستهزاءًا بِعُرفِ الاستعمال. " (٢)

كذلك عُدَّ من وجوه الترجيح في التفسير، سياق الكلام ودلالة أول الكلام على آخره، وآخره على أوله، وهذا كله دليل على صحة القول." (٣) ،

(١) يراجع معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، ١/ ٦٧، ٦٨، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ، عدد الأجزاء :٥.

(٢) يراجع الإمام في بيان أدلة الأحكام، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، ص ١٥٩، المحقق: رضوان مختار بن غربية، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م

(٣) يراجع التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، ١٩/١، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ .

كما أن مراعاة السياق وأثره في التفسير هو الطريق إلى معرفة ما لم يرد فيه نَقْلٌ عن المفسرين، وذلك بالنظر لمفردات الألفاظ عند العرب واستعمال المناسب لها مع السياق." [١] ، وفي حالة وقوع إشكالٍ والتباسٍ في فهم المعنى الصحيح، فالمعين على ذلك هو دلالة السياق."[٢]

وقد جزم الشيخ رشيد رضا بأفضلية السياق كقرينة تكشف عن حقيقة المعنى [٣] ، ووافقه الأستاذ محمد عبده الرأي. [٤] ، **فالنظر للآيات القرآنية في ضوء السياق يُعَدُّ عند هؤلاء العلماء مظهرًا من مظاهر تفسير القرآن بالقرآن.**

- أهمية السياق القرآني في التفسير.

تكمن أهمية السياق القرآني في آثاره الجليلة في التفسير، فمن تلك الآثار:

ترجيح أو تضعيف بعض القراءات وتوجيهها، وكشف المعاني، وإظهار المناسبة بين آيات القرآن الكريم، ودفع ما يوهم الإشكال والتناقض بين آيات القرآن الكريم، كما أن دلالة السياق تُبيّن المجمل، وتُخَصِّص العام، وتقطع بعدم احتمال غير المراد، وتُقَيِّد المطلق، وتنوع الدلالة." [٥] ، إلى غير ذلك من آثار.

---

(١) يراجع البرهان في علوم القرآن ١٧٢/٢ .

(٢) المصدر السابق ٢٠٠/٢.

(٣) يراجع تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين ابن ملا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، ١/ ٢٠، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ١٢ جزءًا.

(٤) يراجع المصدر السابق ١/ ٢٨٢.

(٥) يراجع البرهان في علوم القرآن ٢٠٠/١.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [1]، الدال على الأثر الذي أوضحه السياق وهو كشف المعنى ؛ حيث بيَّن السياق أن المقصود بـ(العزيز الكريم) الذليل الحقير.

مما سبق ذِكْرُه يتبين مدى اهتمام العلماء بالسياق وبيان أثره في تفسير كلام الله -ﷻ- ودعوتهم لاتخاذه – أي السياق- منهجًا لغيرهم في تفاسيرهم.

(١) سورة الدخان/ آية ٤٩ .

المبحث الأول

التعريف بالإنفاق

المقصود بالإنفاق في اللغة:

جاء الإنفاق في كتب اللغة في إطار الجذر (نفق)، وقد أورد أهل اللغة معانٍ لغوية متعددة له، منها أن:

النون والفاء والقاف أصلان صحيحان، يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه." [١] ، **فالأصل الأول وهو(نفق) بمعنى: ذهاب الشيء وانقطاعه، فيُطْلَق على الموت مجازًا** يقال:

" نفقت الدابة: إذا ماتت." [٢] ، **كما يطلق على نقصان الأشياء** يقال:" نفق ماله وطعامه... نقَص وَقَلَّ، وقيل: فَنِيَ وذَهَبَ." [٣] ، ومنه قوله -ﷻ-:﴿ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴾ [٤]، أَي: خشية الفناء والنفاد." [٥] ، **كما يطلق على الانتشار** كأن الشيء تناثر فَقَلَّ وذهب، وجاء هذا التعبير في

(١) معجم مقاييس اللغة ٤٥٤/٥، (مادة:نَفَقَ).

(٢) يراجع تهذيب اللغة ١٥٥/٩ ، (مادة:نَفَقَ).

(٣) يراجع لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، (مادة:نَفَقَ) ٣٥٧/١٠، ٣٥٨ ، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.

(٤) سورة الإسراء/ آية ١٠٠ .

(٥) تهذيب اللغة ٩/ ١٥٦ ، (مادة:نَفَقَ) .

أوبار الإبل وتَقَشُّر الجروح يقال:" أنفقت الإبل: إذا انتثرت أوبارُها...، ونفق الجرحُ: إذا انقشر." (١)

بالنظر في كلام اللغويين السابق يتبين أن: المعاني السابقة تدور حول أصل واحد فيه معنى الانقطاع والذهاب أو المضي والنفاد .

الأصل الثاني وهو(نفق) بمعنى: الإخفاء والإغماض، فيطلق على النَّفَق والنفاق؛ ففي كلا الكلمتين إخفاء وإغماض، النَّفَقُ: سرب في الأرض له مَخْلَص إلى مكان." (٢) ، فيتضح من مدلول النَّفَق أنه مكان يصلح للاختفاء أو أنَ مَنْ دخله يختفي.

يؤكد معنى الإخفاء والإغماض قوله –ﷺ– في حديث السبعة الذين يظلهم الله –تعالى– في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «... ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه...» الحديث" (٣)

المقصود بالإنفاق في الاصطلاح:

أورد العلماء للإنفاق أو النفقة في الاصطلاح تعريفات متقاربة منها: النفقة: ما يُنْفِقه الإنسان على عياله، ونحو ذلك قال الله تعالى:﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ

(١) يراجع المصدر السابق ٩/ ١٥٧، (مادة:نَفَقَ).

(٢) العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، ١٧٧/٥، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨ .

(٣) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، ١١١/٢، جزء من حديث رقم ١٤٢٣ .

وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾[١] ، والإنفاق من النفقة."[٢]

وقيل: " إن النفقة عبارة عن: الإدرار على الشيء بما به قيامُه وبقاؤه." [٣]، الإنفاق: صَرْفُ المال في الحاجة"[٤] ، وقد يكون في المال، وفي غيره، وقد يكون واجبًا وتطوعًا."[٥]

مما سبق يتبين أن التعريف الاصطلاحي الجامع للإنفاق هو: بذْل المال أو غيره في وجه من الوجوه.

---

(١) سورة التوبة/ آية ٥٤ .

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، ١٠/ ٦٦٩٠، ٦٧٠٦، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١١ مجلد (في ترقيم مسلسل واحد)، ومجلد للفهارس.

(٣) يراجع التعريفات الفقهية، المؤلف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، ص٣٢١، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١ .

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، ص٦٥، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ١.

(٥) يراجع المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، ٨١٩، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ .

وعليه فهناك ارتباط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصلاحي للإنفاق؛ حيث إن بذْل المال هو نوع من الانقطاع والمضيّ والنفاد والإخفاء.

بين يدي سورة البقرة

إن المتأمل لسورة البقرة يجد أنها من أول ما نزل من القرآن المدني بعد هجرة النبي -ﷺ- من مكة إلى المدينة، واستمر نزولها إلى قبيل وفاة النبي -ﷺ- ونزول آخر آية من القرآن فيها.

وعلى ذلك فالسورة الكريمة قد استغرقت ما يقارب الحقبة المدنية بأكلمها، وكان لهذا أثره الواضح في الغرض الذي من أجله نزلت السورة الكريمة وهو بناء القاعدة الأساسية التي ستقوم عليها الدولة الإسلامية والأصول التي سيرتكز عليها نظامها، ومن بين هذه الأصول ما ابتدأت به السورة الكريمة من الحديث عن القرآن الكريم وتعظيم شأنه وبيان مقصده؛ ترسيخًا لمقامه في النفوس، وتهيئةً لتلقي أحكامه بالقبول، ثم بعد ذلك تابعت السورة الكريمة الحديث عن تشريعات وأحكام وقصص وأمور كثيرة من بينها الإنفاق.

وقد حثت السورة الكريمة على الإنفاق بصيغ متعددة، هذه الصيغ قد تنوعت بين حثٍ عليه بتوسطه بين أحكام العقيدة والعبادات، وكذلك بالأمر الصريح به، والسؤال عن أولوياته، ثم أوسعت في الحث عليه بضَرْب الأمثال وما انطوت عليه هذه الأمثال من بيان فَضْل الإنفاق، وأنواعه، وشروط المقبول منه، وغير ذلك مما انطوت عليه آيات ضَرْب الأمثال في السورة -كما سيرد في ثنايا هذه الدراسة-، وما هذا كله إلا لأهميته الكبيرة في حياة الأفراد والمجتمعات.

وعلى الرغم من أن جميع آيات الإنفاق في ثناياها حثٌ عليه، إلا أن أثر السياق قد اختلف في كل موضع منها بما يتناسب مع الآيات قبله وبعده -كما سيرد في ثنايا البحث-

المبحث الثاني

توسط الإنفاق بين العقيدة والعبادات

تحدث القرآن الكريم عن الإنفاق في سورة البقرة في أول وروده عند الحديث عن صفات المتقين، وقد جاء الحديث عنه متوسطًا بين قضايا العقيدة والعبادات، وفي هذا إشارة واضحة إلى مكانة الإنفاق في الإسلام.

ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ (١)

فقد بيَّنت الآيتان الكريمتان صفات المتقين الذين اختصهم المولى –ﷻ– بالهداية ثناءًا عليهم وحثًا لغيرهم على الاتصاف بأوصافهم.

وقد بدأت السورة الكريمة ببيان أثر القرآن الكريم وهو الهداية، وناسب ذلك ذِكْر المنتفعين بهذه الهداية وهم المتقون الذين صانوا أنفسهم عن معصية ربهم –ﷻ–، وحققوا مبدأ التقوى المذكور بإيمانهم بالغيب–على غير علم سابق–، وإقامتهم الصلاة وتأديتها على وجهها الأمثل المطلوب منهم، وإنفاقهم وبذْلِهم المال فيما شرعه الله–ﷻ– فرضًا وتطوعًا رجاءَ المثوبة.

ووجه تَرَتُّب الإنفاق على الإيمان بالغيب: أن المدد غيب، لأن الإنسان لمَّا كان لا يطَّلع على جميع رِزقه كان رزقُه غيباً، فاذا أيقن بالخَلَفِ جاد بالعطية، فمتى أُمِدَّ بالأرزاق تمت خلافته وعَظُمَ فيها سلطانه وانفتح له بابُ إمدادٍ برزق أعلى وأكمل من الأول." (٢)

---

(١) سورة البقرة/ آية ٣، ٤.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، ١/ ٨٦، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٢ .

ولما كان الإيمان الحقيقي لابد له من عمل يُصَدِّقه جاء ذِكْر الصلاة والإنفاق، فالإنفاق عند هؤلاء المتقين السالف وصفهم في الآيتين الكريمتين كان صادرًا عن اعتراف منهم بأن هذا المال رزق الله وفضل منه، وهذا الاعتراف هو دليل تقواهم، ففي ثناياه ثناء عليهم بتحقيقهم الوصف الكامل في الإنفاق.

كذلك كان الترتيب بين صفات المتقين واردًا حسب درجة الإلزام، فالإيمان بالغيب لازم للمكلف دائمًا، والصلاة لازمة في أكثر الأوقات، والنفقة لازمة في بعض الأوقات."[1]

والحكمة في الجمع بين أوصاف المتقين في الآيات: أن الإيمان بالغيب هو عمل القلب، والصلاة هي فِعْل البدن، والإنفاق هو تكليف متعلق بالمال، فليس هناك قسمًا رابعًا يتعلق به التكليف، وما عدا ما ذُكِر فهو ممزوج بين اثنين من هذه الأقسام، كالحج والصلاة." [2] ، كذلك الاقتران بين الصلاة والإنفاق لجمْعهما بين حق الله –ﷻ– وبين حق العباد، فالصلاة حق الله تعالى، والإنفاق هو نفعٌ متعدٍّ للمخلوقين.

وفي ضوء ما سبق ذِكْرُه أستطيع القول بأن المقصود بالإنفاق في الآية الكريمة عمومه، سواء كان واجبًا كالزكاة المفروضة، والإنفاق على

(١) البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، ٦٩/١، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(٢) يراجع تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، ١/ ٢٩، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء ٩.

النفس وكذلك الإنفاق على مَنْ تجب عليه نفقته، أو الإنفاق في الجهاد، أم كان مندوبًا كالصدقة مثلًا.

فكل هذه الإنفاقات داخلة تحت الآية؛ لأن كل هذه الأنواع سبب لاستحقاق المدح الوارد في الآيات، فلا يمكن جَعْل المقصود منها نوعًا من الإنفاق دون نوعٍ آخر؛ لأن جميعها هي نوع مِنْ شُكْرِ الله تعالى على نعمة المال، كما أن السياق يؤيد ذلك؛ حيث لم تُصَرِّح الآية الكريمة بِذِكْر نوع من الأنواع التي يَصْدُق عليها مسمى الإنفاق الواجب كلفظ (الزكاة) الذي يدل على الوجوب، أو ذِكْر المصارف المعتبرة فيها .

وبهذا يتبين أن المفردات والجمل القرآنية في الآيتين الكريمتين قد تتابعت في ترابط واتساق وتقاود لأداء المعنى وكان للسياق أثر في توضيح هذا المعنى.

المبحث الثالث

الأمر الصريح بالإنفاق

من الأمور التي أكدت على أهمية الإنفاق ومكانته في الإسلام، ورود لفظه بصيغة الأمر الصريح (أنفقوا)، وقد ورد هذا الأمر في السورة الكريمة في ثلاثة مواضع،

أولها: قبل الحديث عن مواقيت الحج والعمرة وعقب الحديث عن آداب وشروط القتال مع الأعداء، في قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ .(١)

الثاني: بعد الحديث عن الرسل-عليهم الصلاة والسلام-، وعن الاختلاف والقتال، وفي سياق الحديث عن يوم القيامة، في إشارة منه-ﷻ- إلى أن الأحوال تتغير، والفُرَص تنقضي، وأن المبادرة في اغتنامها هو دليل العقل والتدبير، في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾. (٢)

الثالث: في إطار الحديث عن آداب الإنفاق، وتحري الجيد من المال فيه ، وقد ورد ذلك في قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾.(٣)

---

(١) سورة البقرة/ آية ١٩٥ .

(٢) سورة البقرة/ آية ٢٥٤ .

(٣) سورة البقرة/ آية٢٦٧ .

والناظر في فعل الأمر ﴿أَنفِقُواْ﴾ الوارد افي الآيات الكريمة يجده قد ورد بلفظ الجمع، وهذا أمر له دلالته وهي: أنّ الإنفاق لا يخص واحدًا دون واحدٍ في المجتمع، بل هو باب عظيم يتنافس فيه المتنافسون ويتسابق للدخول منه المتسابقون طالما توافر لديهم ما ينفقوه .

كما بيَّن قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ خصوصية الإنفاق في الجهاد في سبيل الله تعالى، ووجوب إخلاص نية الإنفاق لله تعالى، وهذا ما يؤكده قوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ سواء بوروده مع لفظ الإنفاق هنا أم مع لفظ القتال في الآيات السابقة عليها.

وقد وردت الآية الكريمة عقب الحديث عن القتال في قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (١)

فالآيات السابقة أشارت إلى ارتباط الإنفاق في الآية التالية بالحديث عن القتال، وكان للسياق أثر في توضيح هذا الارتباط .

(١) سورة البقرة/ من الآية ١٩٠ إلى الآية ١٩٤ .

فكأن المعنى – والله أعلم بمراده– بيان ما للإنفاق من دور كبير في تجهيز الجيوش وإعدادها، وهذا ما أكده ميل أغلب المفسرين إلى القول بأن المقصود بالتهلكة المذكورة في الآية الكريمة والتي جاء التحذير من الوقوع فيها: إنما هو تَرْكُ الإنفاق في سبيل الله تعالى." (١)

(١) تفسير مجاهد، المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، ص٢٢٤، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م، عدد الأجزاء: ١، جامع البيان في تأويل القرآن ٥٨٣/٣، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، ٩١/٢، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م
عدد الأجزاء: ١٠ ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، ٦٤١/١،المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م،عدد الأجزاء: ١٣ (١٢، ومجلد للفهارس)، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن =محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، ٢٥٣/١، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، عدد الأجزاء: ٦ ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، ص ١٥٥، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١ ، معالم التنزيل ٢٣٩/١ وغيرهم .

يؤكد هذا القول ما أورده الإمام البخاري في صحيحه عن حذيفة قال:"﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، قال: «نزلت في النفقَة»." (١)

كذلك كان السياق واضحًا جليًا ومرتبطًا أيضًا بالآيات التي سبقت آيات القتال؛ حيث كان الحديث فيها عن الحج فناسب ذِكْر هذه الآيات بعدها لكونها تمهيدًا لتطهير البيت الحرام مِن الشِّرك، وكَفِّ أذى المشركين عن المسلمين، واحتمال وقوع القتال؛ لوجود البيت الحرام تحت قبضة المشركين، ثم مجيء الأمر بالإنفاق في سبيل حصول ذلك كله.

وإذا ما انتقلنا إلى الآية الثانية التي جاء فيها الأمر الصريح بالإنفاق في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ وجدنا أن هذه الآية بمثابة الخاتمة لما قبلها من حيث كونها إخبار عن حتمية الاختلاف، وأنه سنة أرادها الله-ﷻ-، والحكمة الإلهية في إرادة ذلك، وذلك كله يستوجب الإعداد والتهيؤ؛ لذا أمر الله تعالى بالإنفاق فيها، ولمَّا كان الجهاد يحتاج صاحبه إلى الإعانة عليه، جاء أمْرُ الله تعالى بالنفقة مِن بعض ما رَزق، فشمل ذلك النفقة في الجهاد." (٢)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥]،٦/٢٧، رقم(٤٥١٦) .

(٢) يراجع البحر المحيط في التفسير ٢/ ٦٠٤ .

وبنظرة دقيقة في هذه الآية نجد أن النداء فيها قد جاء بصفة محببة إلى النفوس ولها وقعها في القلوب:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ، فكأنه يجد في القول الرباني نداء يقول له: يا من آمن بي إلهًا حكيمًا قادرًا مُشرِّعًا لك، أنا أريد منك أن تفعل هذا الأمر." [1] ، ثم تصريحها بالإنفاق من رزق الله تعالى الذي أعطاهم إياه﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ كنوع من تذكيرهم بأن المال هو مال الله وعطاؤه، ثم التذكير بيوم القيامة ذاك اليوم الذي ينقطع عنده العمل ويتوقف به الأمل ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾، وفي هذا تحريض للنفوس على النفقة وربط للقلوب بخالقها-ﷻ- ، وتقوية يقينهم بالآخرة وهذا ما أكده نفى الشفاعة في هذه الآية ثم إثباتها وتعليقها بعد ذلك في آية الكرسي بإذن الله تعالى.

وأخيرًا جاء التعقيب بقوله: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ في ختام الآية لبيان أن تَرْكَ الإنفاق يؤدي إلى انتشار الظلم والفساد في المجتمع بأسره والذي قد لا يسلم منه أحد حتى هذا الممتنع عن الإنفاق نفسه.

وعلى الرغم من أن الأمر بالإنفاق في الآية الكريمة جاء عامًا ولم يُخصص بالجهاد أو إعداد الجيوش أو في سبيل الله تعالى كسابقتها؛ إلا أن سياق الآية يُمَكِّنُنَا من القول بأن الأمر فيها وارد على سبيل التأكيد والتحريض لما سيذكر بعد من الأمر بالإنفاق الوارد بعد ذلك والمخصص

(١) تفسير الشعراوي – الخواطر، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، ١٠٨٢/٢، الناشر: مطابع أخبار اليوم
عدد الأجزاء: ٢٠ .

بالجهاد في سبيل الله تعالى في قوله: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يؤكد ذلك قول الإمام الرازي:" قوله ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مختص بالجهاد في عُرْف القرآن." (١)

فالآية الكريمة كما كانت بمثابة الخاتمة لما قبلها، فهي كذلك بمثابة التمهيد لما بعدها؛ حيث تَضَمَّن ما بعدها من آيات الإعداد الإيماني ضَرْبَ الأمثلة الدالة على كمال قدرة الله تعالى في الإحياء والإماتة، وانفراده بالخَلْق والتصرف، كما تَضَمَّن الإعداد المادي المتمثل في تفصيل القول في الإنفاق بِضَرْب الأمثال.

أما الآية الثالثة وهي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ فقد اشتركت مع الآية الثانية في الأمر بالإنفاق بنفس صيغة النداء بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ، وهذا له ما له- كما ذكرت سلفًا-، إلا أنها انفردت عن سابقتها بالأمر بالإنفاق مِن طيبات الكسب ومما أُخْرج من الأرض بتحري الجيد منه، وليس بعموم ما رزقهم الله تعالى في الآية الثانية، والمقصود به: عموم كل ما حصل بكسْب من الإنسان المُنْفِق، وسعاية وتحصيل...، وما أُخْرج من الأرض من الأنواع المختلفة من المُخْرجات." (٢) ، وعدم قَصْد الخبيث والرديء من الأموال في الإنفاق منه، ولذلك قال:

---

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)،٧/ ٦٨، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ .

(٢) يراجع البحر المحيط في التفسير ٦٧٧/٢ ، ٦٧٨.

﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾، أي كيف تقصدون الخبيث وتتصدقون به وحده ولستم ترضون مثله لأنفسكم إلا أن تتساهلوا فيه تساهل من أغمض عينيه عنه فلم ير العيب فيه، ولن يرضى ذلك أحد لنفسه إلا وهو يرى أنه مغبون مغموص الحق." (١)

ثم ختمت الآية بقوله تعالى:﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ لبيان أن الله تعالى هو الغني عن إنفاق المنفقين، وإنما يأمرهم به لمنفعتهم، وفي الأمر بأن يعلموا ذلك مع ظهور علمِهم به توبيخٌ لهم على ما يصنعون من إعطاء الخبيث وإيذانٌ بأن ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى...، وهو سبحانه مستحِقٌّ للحمد على نعمه العِظام، ... حامد بقبول الجيّد والإثابة عليه." (٢)

من خلال ما سبق يتبين أن الآيتين الكريمتين الأولى والثانية قد جمعهما سياق متقارب بدا واضحًا في سياق الآيات السابقة واللاحقة لهما من خلال تهيئة وإعداد نفوس المؤمنين للقتال في الآيتين، وهذا ظاهر – بما ذكرته سلفًا– سواء ببيان احتمال وقوع القتال لوجود البيت الحرام تحت قبضة المشركين في الآية الأولى أم بذِكْرِ القتال وأنه واقع بسبب الاختلاف في الآية الثانية، ويؤيده مجيء الأمر بالإنفاق بعدها في كلتا آيتي الإنفاق ثم التعقيب في الآية الأولى بقوله تعالى:﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، وبقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في الآية الثانية.

(١) تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، ٣٩/٩، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م، عدد الأجزاء: ٣٠ .

(٢) يراجع إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢٦١/١.

أما الآية الثالثة وإن لم يرد فيها كسابقتيها الحديث عن القتال والجهاد إلا أنها قد جاءت ضمن آيات الإعداد المادي للأمة الإسلامية بعد بيان الإعداد الإيماني المتمثل في تحقيق قدرة الله تعالى ببيان آثارها وضرْب المُثُلِ عليها، كما جاءت أيضًا ضمن حديث مطوَّل عن الإنفاق وردت أول آياته بتخصيصه بالجهاد-كما أوضحت سلفًا في قول الإمام الرازي-، هذا الحديث الذي كان فيه تحريك للنفوس وحض لها على النفقة، وتمثيل للمجتمع على أنه أسرة واحدة يسودها المودة والرحمة، هذا الأمر الذي له عظيم الأثر في بناء المجتمع المسلم وتقويته.

المبحث الرابع

أولويات الإنفاق

تَعرّض المبحث السابق للحديث عن الأمر الصريح بالإنفاق وأثر السياق في الآيات الدالة عليه، وسيتناول هذا المبحث الحديث عن الأولويات التي يجب على المُنْفِق أن يراعيها حال إنفاقه، وأثر السياق في الآيات ، والمقصود بأولويات الإنفاق أحقيّته، أسبقيته، وأفضليته، وقد ورد السؤال حول هذه الأولويات في موضعين، أولهما: جهة الإنفاق، ثانيهما: مقدار الإنفاق.

أولًا: السؤال عن جهة الإنفاق

ورد السؤال عن جهة الإنفاق في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (١)

وهذا السؤال يعم المُنْفَق والمُنْفَق عليه، وقد استعرضت الآية الكريمة أولويات المُنْفَق عليه بِذِكْرَ جهات الإنفاق من الوالدين، والأقارب، واليتامى، والمساكين وابن السبيل.

ويتجلى الغرض من هذه الآية في بيان وجوه النفقة ومصارفها؛ إصلاحًا للجانب المالي والاجتماعي واللذان هما أصلان من الأصول التي يرتكز عليها بنيان المجتمع الإسلامي، وهو المحور الذي دارت حوله السورة الكريمة.

والمتأمل في الترتيب الوارد في الآية والذي اعتمدَتْه في الإنفاق؛ يجد أنها اعتمدت الروابط التي تربط المُنْفِق بِمَنْ حوله في المجتمع، فابتدأت

(١) سورة البقرة/ آية ٢١٥ .

بأقوى رابطة وهي رابطة الأبوة والأمومة، فجعلت الوالدين على قمة الجهات المستحِقة للإنفاق، ثم انتقلت منها إلى رابطة الرحم التي تعم الأقارب؛ لتتسع دائرة الخير، وبعدها انتقلت إلى رابطة الرحمة لهؤلاء الذين فَقدوا مَنْ يعولهم ويحنوا عليهم وهم اليتامى، ثم مدّت رابطة الرحمة لتشمل مَن لا يقدرون على التكسب ولكن حالهم أفضل مِن حال اليتامى وهم المساكين، ثم اخْتَتَمت هذا الترتيب بابن السبيل، الذي قد يقع في الحاجة والفاقة بسبب بُعْدِه عن بلده أو انقطاعه عنها.

فكل هذه الروابط غرضها تقوية أواصر المحبة والألفة في المجتمع الإسلامي بطريق التوسعة وكفاية حاجة المحتاج.

كما أن المتأمل في سياق هذه الآية يجد أن السؤال عن جهة الإنفاق قد ورد عقب الحديث عما أصاب مَن قبلهم مِن أتباع الأنبياء والرسل – عليهم السلام– من الشدائد، وما سيحل بهم من البأساء التي حلت بِمَن سبقهم.

فكأنه بذلك أشار إلى أن الصبر على الإنفاق وبذْل المال هو من أعظم ما يجب أن يتحلى به المسلم، وهو أقوى الأسباب الموصلة للجنة." [١]

وقد ظهر ارتباط سياق هذه الآية بسابقتها؛ حيث دلَّت الآيات السابقة على ما جُبِل عليه الناس مِن حب الحياة وزينتها، هذا الحب الذي دعاهم إلى الخلاف والتناحر والشقاق، وأهل الحق هم مَن يتحملون البأساء في سبيل ربهم؛ طلبًا لمرضاته، وهذا مما يُرَغِّب الإنسان في الإنفاق وبَذْل المال، فكأن نفس السامع لمَّا سمعت ما تقدَّم ذِكْرُه في الآيات السابقة،

(١) يراجع البحر المحيط في التفسير ٣٧٦/٢ .

توجهت إلى البذل والعطاء وسألت عن طريق ذلك؛ فجاءت هذه الآية بعد ذلك بالسؤال مقرونًا بالجواب ." (١)

ويؤكد على هذا المعنى ما رجَّحه الإمام الطبري في تفسيره حيث قال:" حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، قال: قال ابن جريج: سأل المؤمنون رسول الله -ﷺ- أينَ يضعون أموالهم؟ فنزلت: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ ﴾ " (٢)،

فالآية الكريمة قد بينت أَوْلى الجهات التي يضعون فيها نفقاتهم استعدادًا للبأساء التي أخبرتهم الآية السابقة عليها بحصولها لهم.

أما عن النفقة والراجح في المقصود بها في الآية الكريمة هو عمومها دون الزكاة المفروضة، يؤيد هذا القول

أ- ما أشرت إليه سلفًا مِن أنّ غرض الآية الكريمة بيان وجوه النفقة، ومصارفها الصحيحة، وهو أمر عام في النفقة.

ب- ختام الآية الكريمة بقوله تعالى:﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴾ يؤيد هذا المقصود؛ حيث حض هذا الختام على كثرة الإنفاق باختيار لفظ﴿تَفۡعَلُواْ﴾ دون لفظ الإنفاق مثلًا؛ لكون الفعل أعم من الإنفاق نفسه، إلا أنه أتى به للتأكيد على الإنفاق الواقع في قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ ." (٣)

(١) يراجع تفسير المنار ٢/٢٤٤، ٢٤٥ .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ٤/٢٩٤، ٢٩٥.

(٣) يراجع البحر المحيط في التفسير ٢/ ٣٧٨.

ج- مجيء لفظ ﴿خَيْرٍ﴾الدال على المال الكثير دون الزكاة المفروضة المعلوم قَدْرُها يؤكد على هذا المقصود.

ثانيًا: السؤال عن مقدار الإنفاق

ورد السؤال عن مقدار الإنفاق عقب السؤال عن الخمر والميسر وما فيهما من إثم ومنافع في قوله تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾(١)

وقد جاء صدر الآية الكريمة بالتنفير من الخمر والميسر وذمهما؛ تمهيدًا لتحريمهما القطعي بعد ذلك، لكونهما يتنافيان مع ما سبق ذِكْرُه من أحكام الإنفاق حيث إنفاق المال على غير وجهه الصحيح، ثم عقَّب بهذا السؤال لبيان الوجه الصحيح للإنفاق، والمتأمل في هذه الآية يرى أنها أعادت السؤال عن النفقة مرة أخرى ولكن هنا مع اختلاف الجواب، وهو ما يوضح ارتباط سياق هذه الآية مع الآيات السابقة عليها.

ولعل السبب في تكرار السؤال عن النفقة: أن الغرض من السؤال الأول هو بيان وجوه النفقة ومصارفها، ولذا كان الجواب بقوله تعالى:﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ﴾ لأنه الأهم، أما الثاني فالغرض منه بيان المقدار، فوجههم إلى صَرْف الفاضل عن حاجاتهم بإنفاقه، وعدم استعماله في شهواتهم وملذاتهم، ومجيئه بعد السؤال عن الخمر والميسر يؤكد ذلك.

(١) سورة البقرة/ آية ٢١٩.

والسر في هذا الترتيب بين السؤالين، بيان منهج الإسلام في تربية النفوس البشرية؛ لِعِلْمِه بما جبلت عليه مِن حب ذاتها، ولهذا جاء الجواب عن مقدار الإنفاق بأنه النفقة على مَنْ سواها بعد كفاية حاجاتها، الأمر الذي له عظيم الأثر في إصلاح وطمأنينة النفس البشرية والممتد بدوره إلى إصلاح المجتمع ككل.

وقد جاء الجواب عن مقدار الإنفاق في هذه الآية مطلقًا بقوله:﴿قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾وهو ما زاد عن حاجة الإنسان من المال بعد نفقته ونفقة مَنْ يعول." [١] ؛ ليُقَدِّره كل إنسان بحسب عصره وحاجته، وما يليق بحاله." [٢] ، يؤكد على هذا المعنى قول رسول الله -ﷺ-: «خير الصدقة ما كان عن ظَهْرِ غِنًى، وابدأ بِمَنْ تَعُولُ.»"[٣]

أما عن ختام هذه الآية بقوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ والتعليل الوارد فيها فهو مناسب لسياق الآية؛ حيث بيَّن هذا التعليل أن ما أرشدهم الله تعالى به مِن أمر النفقة ومقدارها، وما شرعه الله تعالى في شأن القتال والخمر والميسر يوجب التفكر والتدبر فيما فيه صلاح الناس في الدارين.

---

(١) يراجع التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، ٣٥١/٢، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء : ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).

(٢) يراجع تفسير المراغي ١٤٥/٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ١١٢/٢، رقم ١٤٢٦ .

المبحث الخامس
الإنفاق وضَرْب الأمثال

إن الحث على الإنفاق في سورة البقرة قد أخذ أساليب عدة، تنوعت هذه الأساليب ما بين إبراز مكانته بتوسطه بين أمور العقيدة والعبادات، أو من خلال الأمر الصريح به، أو من خلال بيان أولوياته بالسؤال عن الجهة المقصودة به أو عن مقداره، أو من خلال ضَرْبُ الأمثال، وما ذاك التنوع إلا لأهمية الإنفاق ومكانته العظيمة في الإسلام.

ولعل السر في اختيار ختام الحديث عن الإنفاق في هذه السورة بضَرْب الأمثال- والله أعلم- : أن فيها_أي ضَرْبُ الأمثال_ جَذْبٌ للنفوس في تخيُّل المعنى المراد وعلوقه بالأذهان، كما أن فيها مزيدًا من الترغيب والحض على الامتثال بخلاف المعهود من الكلام.

وقد اشتملت آيات الحث على الإنفاق بضَرْب الأمثال على أربعة أمثلة، تنوعت ما بين ضَرْب مثلٍ للإنفاق الصحيح وأثره، ومثلٍ للإنفاق السيء وأثره، ومثلٍ للتمكن في مراتب الإيمان والإحسان، ومثلٍ لنفقة الرياء وطَلَبُ المحمدة.

وقد استغرقت هذه المُثُل الأربعة أنواع الإنفاق سواء المحمود المقبول منه، أم المذموم المردود، كما استغرقت أيضًا الآداب التي يجب على المُنْفِق التحلي بها، وكذلك أنواع الصدقات وبيان الفاضل والأفضل فيها.

المثل الأول: الإنفاق الصحيح وأثره

ورد ذِكْرُ أول الأمثال حثًا على الإنفاق في قوله تعالى:

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

(١) سورة البقرة/ آية ٢٦١ .

وسياق الآية الكريمة ظاهر من أمور بيانها كالتالي:

١- ذكر المولى -تبارك وتعالى- في الآيات السابقة أن الناس فريقان: أولياء الله وهم المؤمنون، وأولياء الطاغوت وهم الكافرون، وأعقب ذلك بِذِكْر نموذج للإيمان ونموذج للطغيان، ذكر هنا ما يُرَغِّب في الإنفاق في سبيل الله وخاصة في أمْر الجهاد لأعداء الله؛ لأن للجهاد في سبيل الحق ميادين ثلاثة: أولها الإقناع بالحجة والبرهان، وثانيها الجهاد بالنفس، وثالثها الجهاد بالمال، فلما ذكر فيما سبق جهاد الدعوة وجهاد النفس شرع الآن في ذِكْر الجهاد بالمال." [١] ، فكأنه أشار بهذا المثل إلى أولياء الله تعالى، ثم أعقبه بِذِكْر مثل لأولياء الطاغوت المرائين بإنفاقهم في قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [٢]

كذلك كان من مناسبة الآية للسياق أيضًا:

٢- أنه تعالى لمّا أمر بالإنفاق في قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا

(١) يراجع صفوة التفاسير، المؤلف: محمد علي الصابوني، ص١٥٢، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١ .

(٢) سورة البقرة/ آية ٢٦٤ .

شَفَٰعَةٌۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[١] ، بيَّن في هذه الآية مَثَلَ النفقة وأجرها المضاعف.

فكأن الله -ﷻ-، -وهو أعلم بمراده- أراد بهذا أن يصل الحديث عن الإنفاق والإعداد المادي للأمة الإسلامية بعد توسطه بالحديث عن دلائل وحدانيته، وكمال قدرته المُتَضَمِن الإعداد الإيماني لها.

فالآية الكريمة على هذا المعنى ضربت مثلًا لِمَن ينفقون أموالهم في الجهاد في سبيل الله تعالى، حيث بشَّرهم ربهم بأجر مضاعف إلى سبعمائة ضعف، بل وأكثر من سبعمائة حسبما تقتضي مشيئته تعالى.

يؤكد على ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: عن أبي مسعود الأنصاري، قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله -ﷺ-: «لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقة كلها مخطومة.» "[٢]

ولم يقتصر هذا المثل على بيان أجر الإنفاق فقط، بل امتد ليشمل أيضًا الحديث عن بعض آداب الإنفاق التي يجب على المُنْفِق التحلي بها؛ وصولًا بإنفاقه إلى غايته المبتغاه.

(١) سورة البقرة/ آية ٢٥٤ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الإمارة، باب ما فضل الصدقة وتضعيفها في سبيل الله، ١٥٠٥/٣، رقم ١٨٩٢، والمقصود بالناقة المخطومة: "المشدودة بحبل أو زمام يوضع على أنفها لتقاد به." يراجع تهذيب اللغة ١١٦/٧، (مادة: خطم) .

من هذه الآداب:

١- تَرْك المن والأذى

وقد ورد هذا الأدب في قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (١)

فالآية الكريمة تبيِّن صفة النفقة التي بشَّر الله تعالى صاحبها بمضاعفتها، كما تحذِّر من مبطلاتها حتى يظل ثوابها كما بشَّر -ﷻ-.

والمتأمل في هذه الآية يلاحظ تناسب السياق فيها مع سابقتها من أمور:

أ- تَقدَّم في الآية التي قبل ذِكْر الإنفاق في سبيل الله على العموم، ثم بيَّن في هذه الآية أن ذلك الحكم والثواب إنما هو لِمَن لا يُتبع إنفاقه منًا ولا أذى؛ لأن المَن والأذى مبطلان لثواب الصدقة كما أخبر تعالى في الآيات بعد ذلك، وإنما على المرء أن يريد وجه الله تعالى وثوابه بإنفاقه على المُنْفَق عليه، ولا يرجو منه شيئًا ولا ينظر مِن أحواله في حال سوى أن يراعي استحقاقه ." (٢)

والمقصود من المَن: أن يعتد على مَنْ أحسن إليه ويريه أن له صنيعة اصطنعها وحقًا أوجبه عليه،...، أما الأذى: فهو أن يتطاول عليه

(١) سورة البقرة/ آية ٢٦٢.

(٢) يراجع الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، ٣٠٧/٣، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات)

بسبب ما أعطاه." [١] ، وليس أدلُّ على أن المَنّ بالنفقة مذموم من حديث أبي ذر –ﷺ–، عن النبي –ﷺ– قال: ﴿ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾ قال: فقرأها رسول الله –ﷺ– ثلاثَ مِرَارًا، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: ﴿المُسبْل، والمنان، والمنفق سلعته بالحَلِف الكاذب﴾ " [٢]

ب– نفي الخوف والحزن اللذين خُتِمَ بهما هذه الآية؛ حيث فيه بيان أثر النفقة الخالصة في حصول الأمن وذهاب الخوف والحزن، وفي ذلك أعظم باعث على النفقة –وهو المقصد الرئيس من ضَرْب المثل–،

كما أنه مناسب للتحريض على النفقة للجهاد، ويؤيد ذلك أن الله تعالى أخبر في كتابه الكريم أنه ولي المؤمنين، وولايته هذه تستلزم عدم الخوف والحزن، قال تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٣]، فكان الوعد بنفي الخوف والحزن هنا مشعراً بأن النفقة الخالصة باعث لولاية الله تعالى للعبد، هذه الولاية التي تورثه عدم الخوف والحزن.

---

(١) يراجع تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، ٢١٧/١، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو
الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٣ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، ١/ ١٠٢، حديث ١٠٦.

(٣) سورة يونس/ آية ٦٢.

٢- القول الجميل الحَسَن

انتقلت آيات الإنفاق في المثل الأول إلى بيان أدب ثانٍ من الآداب التي يجب على المنفق أن يتحلى بها في قوله تعالى:﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾(١)

هذا الأدب هو: القول الجميل الحَسَن للمُنْفَق عليه، وستْر حاجته وعدم هتْك سره، وتَرْك المَن عليه وأذيته.

فالآية الكريمة فيها: إخبارٌ من الله تعالى أن القول المعروف وهو الدعاء والتأنيس والأمل فيما عند الله، خير من صدقة هي في ظاهرها صدقة، وفي باطنها لا شيء؛ لأن القول المعروف فيه أجر، وهذه لا أجر فيها."(٢)

وقد تناسب سياق هذه الآية من الأمر بالمعروف والمغفرة مع سياق الآيات قبلها من الحض على النفقة والنهي عن المن والأذى من خلال عدة أمور:

- إن فيها مراعاة لحال الفقير وجبْرًا لخاطره، الأمر الذي من شأنه أن يقوي الأخوة الإسلامية بين أفراد المجتمع المسلم غنيِّهم وفقيرهم ويجعلهم مثلما أخبر النبي -ﷺ- كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر قال-ﷺ-: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده

(١) سورة البقرة/ آية ٢٦٣.

(٢) يراجع المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، ٣٥٧/١، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

بالسهر والحمى.﴾ [١] ، خصوصًا وإن البعض قد عرَّف المغفرة بأنها: الستر للخَلَّةِ وسوء حالة المحتاج" [٢] ، وهذا مقصد عظيم من مقاصد الشريعة.

– كذلك أشار قوله تعالى:﴿خَيۡرٌ﴾ إلى ترجيح أمرٍ على أمر، أو إلى تقرير القاعدة الفقهية التي تقول:" دَرْء المفاسد أولى من جلب المصالح." [٣] ، وسبب هذا الترجيح أنه إذا أعطى، ثم أتبع الإعطاء بالإيذاء، فيكون جامعًا بين الإنفاع والإضرار، وربما لم يَفِ ثواب الإنفاع في رفع الإضرار، بخلاف القول المعروف ففيه منفعة بتضمنه إيصال السرور إلى قلب المسلم، كما أنه لم يقترن به الإضرار، فكان بهذا خيرًا من الأول." [٤]

– كذلك خَتْم الآية الكريمة بقوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ﴾فيه ترغيب وترهيب، فالترغيب ظهر في اختيار اسم الله تعالى (الغني)، والمقصود بغناه –ﷻ–: عدم حاجته –ﷻ– لصدقة مَنْ يتصدق، وإنما يأمرهم بذلك طُهْرة لنفوسهم وتأليفًا بين قلوبهم، وهذا كله من باب الترغيب في الصدقة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ٨/١٠، حديث رقم ٦٠١١ .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/٣٥٧.

(٣) المدخل إلى مذهب الأمام أحمد تأليف: عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران (المتوفى: ١٣٤٦هـ)،ص٢٩٨، المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠١، عدد الأجزاء: ١ .

(٤) يراجع مفاتيح الغيب ٧/٤٣.

أما عن الترهيب فقد ظهر في اختيار اسم الله تعالى (الحليم)، والمقصود بحِلْمِه -ﷻ-: أنه تعالى لا يُعَجِّل العقوبة لِمَن يعصيه وإنما يمهله، ومع هذا فهؤلاء العصاة عليهم ألا يغتروا بحلم الله وإمهاله إياهم، وعدم تعجيل العقوبة لهم، وهذا كله لون من الترهيب.

المثل الثاني: الإنفاق السيء وأثره

انتقلت آيات الإنفاق بعد المثل الأول إلى الحث عليه بلون آخر من ألوان الحث ببيان الأمور المبطلة للنفقة؛ تحذيرًا للمؤمنين من الوقوع فيها فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (١)

فبعد أن أبان -تبارك وتعالى- فيما سلف أنَّ ترْك المن والأذى باعتباره أدبًا من آداب الإنفاق شرط لحصول الأجر والثواب على الإنفاق في سبيله، أقبل في هذه الآية مخاطبًا عباده المؤمنين ناهيًا لهم نهيًا لا هوادة فيه عن إبطال صدقاتهم بالمن والأذى فقال سبحانه وتعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾." (٢)

ومناسبة سياق هذه الآية لما قبلها يتضح فيما يلي:

- بيَّن -ﷻ- في الآية السابقة مثلًا للإنفاق الصحيح وأثره، ثم بيَّن في هذه الآية مثلًا للإنفاق السيئ وأثره؛ تحذيرًا للمؤمنين من الوقوع فيه، ويؤكد هذا المعنى افتتاح الآية الكريمة بنداء المؤمنين خاصة.

(١) سورة البقرة/ آية ٢٦٤.

(٢) يراجع تفسير المراغي٣/٣٣ .

- تحذير هذه الآية المؤمنين بإعادة المن في الكلام مرة أخرى، ولتعظيم قُبْح المن أعاد الله ذلك في معارض الكلام، فأثنى على تاركه أولاً، وفضَّل المنع على عطية يتبعها المن ثانيًا، وصرّح بالنهي عنها ثالثًا. وخص الصدقة بالنهي؛ لأن المن فيها أعظم وأشنع. والظاهر أن قوله: ﴿بِٱلۡمَنِّ﴾، معناه على الفقير." (١)
- ختام الآية الكريمة بقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ يقرر النهي المذكور في بدايتها، ففيه تعريض بأن كلاً من الرياء والمن والأذى من خصائص الكفار وعلى المؤمنين أن يجتنبوها."(٢)

ووجه بطلان الصدقة في الآية الكريمة ظاهر؛ لما فيه مِنْ كَسْرِ خاطر الفقير، وامتلاء صدره بالغل والكراهية، وهذا خلاف ما دعت إليه الآية السابقة من القول الجميل الحَسَن الذي فيه تسلية للقلوب وجَبْرٌ للخواطر.

والمعنى في الآية الكريمة: أنه تعالى ذكر لكيفية إبطال أجر الصدقة بالمن والأذى مثلين، فمثَّلَهُ أولاً: بِمَن ينفق ماله رئاء الناس، وهو مع ذلك كافر لا يؤمن بالله واليوم الآخر؛ لأن بطلان أجر نفقة هذا المرائي الكافر أظهر مِنْ بطلان أجر صدقة مَنْ يتبعها بالمن والأذى، ثم مثَّلَهُ ثانيًا: بالصفوان –أي الحجر الأملس الصلب– الذي وقع عليه تراب وغبار، ثم أصابه المطر القوي، فأزال ذلك الغبار عنه حتى صار كأنه ما كان عليه غبار ولا تراب أصلاً، فالكافر كالصفوان، والتراب مِثْل ذلك الإنفاق، والوابل

(١) يراجع البحر المحيط في التفسير ٦٦٢/٢ .

(٢) يراجع إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢٥٩/١ .

كالكفر الذي يحبط عمل الكافر، وكالمن والأذى اللذين يحبطان عمل هذا المنفِق." (١)

المثل الثالث: التمكن في مراتب الإيمان والإحسان

تنتقل آيات الإنفاق بعد ذلك إلى الحث عليه بِضَرْب مثل آخر في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢)

ويظهر أثر سياق هذه الآية لما قبلها فيما يلي:

- إظهار التباين بين المَثَلَين المضروبين عن طريق المقارنة بينهما، فقد تقدم ذِكر حال المتصدقين بأموالهم طلبًا لمحمدة الناس، وعقَّب في هذه الآية بِذِكر نفقات القوم الذين تَزْكُو صدقاتهم؛ حيث جاءت على وجهها المحمود شرعًا فضرب لها هذا المثل." (٣)
- ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ حيث أكدّ هذا الختام على التحذير من التفريط فيما أمر به الله -ﷻ- من أوامر والتي منها الإخلاص في النفقة، وكذلك تجَنُّب مبطلاتها من المن والأذى والرياء؛ تحذيرًا للمنفقين من الوقوع في مِثْل هذه الأمور، وتذكيرًا لهم بأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء من حالهم .

(١) يراجع مفاتيح الغيب ٤٣/٧ .

(٢) سورة البقرة/ آية ٢٦٥.

(٣) يراجع المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٥٨/١ .

والمقصود بالإنفاق في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: في نُصرة أهل دينه من المجاهدين. والثاني: في معونة أهل طاعته من المسلمين." [١] ، والمقصود بقوله:﴿وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ تمكين أنفسهم في مراتب الإيمان والإحسان باطمئنانها عند بَذْلِها بحيث لا ينازعها فيه زلزال البخل." [٢]

ومعنى قوله تعالى:﴿كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ﴾ "(الجنة): البستان... والرَّبوة من الأرض: ما نشز منها فارتفع عن السيل. وحكمة وصْفها بذلك ؛ لأن ما ارتفع عن المسايل والأودية أغلظ ، وعليه فجنان ما غلُظ من الأرض أحسنُ وأزكى ثمرًا مما رقَّ منها." [٣] ، قوله تعالى: ﴿أَصَابَهَا وَابِلٞ﴾مطر عظيم القطر،﴿فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا﴾ثمرتها ﴿ضِعۡفَيۡنِ﴾ مثلي ما كانت تُثْمِر بسبب الوابل ﴿فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ﴾ فمطر صغير القطر يكفيها لِكَرَم منبتها.

أو مُثِّل حالهم عند اللَّه تعالى بالجنة على الربوة، ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطلّ، وكما أن كل واحد من المطرين يُضَعِّف أُكُلَ الجنة،

(١) النكت والعيون ٣٣٩/١ .

(٢) تفسير المراغي ٣٥/٣.

(٣) يراجع جامع البيان في تأويل القرآن ٥٣٥/٥ .

فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة – بعد قَصْد وجه اللَّه بها وبَذْل الوسع فيها– زاكية عند اللَّه، زائدة في زلفاهم وحُسْنُ حالهم عنده." (١)

المثل الرابع: نفقة الرياء وطَلَب المحمدة.

تنتقل آيات الإنفاق في سورة البقرة بعد ذلك إلى تتميم التحذير والتنفير من المن والأذى والرياء بالنفقة بِضَرْب مثل آخر في قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢) ، فهذه الآية الكريمة قد جاءت في سياق متناسب مع سابقتها، فكانت بمثابة النظير للمثل السابق الذي ضربه الله –ﷻ– في قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾، **وعليه نستطيع القول بأن الآية الكريمة مثل لنفقة الرياء.**

والمناسبة بينها وبين ما سبقها واضحة؛ حيث تقدم النهي عن إبطال الصدقة بالمن والأذى، ونُعِتَ فاعِل ذلك بالمُنْفِق رئاء، وشُبِّه حاله بالصفوان المذكور، ثم مَثَّلَ حال مَنْ أنفق نفقته خالصة لوجه الله، أعقب ذلك كله بهذه الآية." (٣) ، **ويَعْني بهذه الآية – جل ثناؤه–**: أن يكون للإنسان بستان في غاية الحُسْنِ، كثير النفع، وكان الإنسان في غاية العجز

(١) يراجع الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ١/ ٣١٣، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ٤ .

(٢) سورة البقرة/ آية ٢٦٦.

(٣) يراجع البحر المحيط في التفسير ٢/٦٧١ .

عن الكسب وشدة الحاجة، وكان بحاله ذلك له أيضًا ذرية في نفس حاله من العجز والحاجة، وكونه محتاجًا أو عاجزًا مظنة الشدة والمحنة، وَتَعَلُّقُ هذه الذرية مِنَ المحتاجين العاجزين به زيادة محنة على محنة، فإذا أصبح الإنسان وشاهَد ذاك البستان قد أُحْرَق بالكلية، فانظر كم يكون في قلبه من الغم والحسرة؟!" (١)

والمقصود من هذا المثل بيان ما يحصل في قلب هذا الإنسان من الغم والحسرة ما لا يعلمه إلا الله، فكذلك حال من أتى بالأعمال الحسنة، غير قاصد بها وجه الله، مقرنًا بها أمورًا تُخرجها عن كونها موجبة للثواب، فحين يَقْدُمُ يوم القيامة وهو في غاية الحاجة، تعظُم حسرته ، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ (٢)" (٣)

وقد تناسب ختام هذه الآية بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ **مع سياق الآيات السابقة،** حيث جاء الآيات السابقة متضمنة فضل الإنفاق، ومُحذِّرَة من مبطلاته، ثم جاء هذا الختام بدعوة الإنسان للتفكر في هذه الآيات، والامتثال لما جاء فيها من أوامر ونواهٍ، فالإشارة بـ (ذلك) إلى هذه الأمثال المُبَيَّنَة." (٤)

وقد اشتمل هذا المثل على أدب جديد من آداب الإنفاق والتي ورد ذِكْرُها في المثل الأول من تَرْك المن والأذى، والقول الجميل الحَسَن، هذا

(١) يراجع مفاتيح الغيب ٥٠/٧ .

(٢) سورة الفرقان/ آية ٢٣ .

(٣) يراجع مفاتيح الغيب ٥٢/٧ .

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٦١/١ .

الأدب هو تحري الجيد من المال وعدم قَصْدِ الخبيث منه في الإنفاق ؛ وصولًا إلى الغاية الكبرى من الإنفاق وهي ثواب رب العالمين وجنته.

تحري الجيد من المال وعدم قَصْدِ الخبيث منه في الإنفاق

انتقلت آيات الإنفاق بعد حديثها في المثل السابق عن النهي عن نفقة الرياء وطَلَبِ المحمدة إلى الأمر بالإنفاق من طيبات الكَسْبِ في إشارة منها إلى أدب جديد من آداب الإنفاق وذلك في قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ (١) ، وقد تحدثت عن هذه الآية سابقًا عند حديثي في مبحث الأمر الصريح بالإنفاق في السورة الكريمة (٢) ، **وأحب أن أضيف هنا أن هذه الآية قد جاءت في سياق متناسب مع آيات الإنفاق والتي وردت على هيئة مُثُل من خلال أمور**

أ- حضَّ المولى -تبارك وتعالى- في أول آيات الإنفاق عليه، ثم بعد ذلك بيَّن أنواع الإنفاق سواء المتبوع مِنْ صاحبه بالمن والأذى أم غير المتبوع، وما يتصل بكلا النوعين مِنْ عاقبة، ثم أتبع ذلك كله بهذه الآية والتي توضح الهيئة التي ينبغي أن يكون عليها هذا المال المُنْفَق في سبيل الله تعالى، فالآية الكريمة بمثابة بيان حال ما يُنْفَق منه، إثر بيان أصل الإنفاق وكيفيته." (٣)

---

(١) سورة البقرة/ آية ٢٦٧.

(٢) ينظر ذلك في مبحث الأمر الصريح بالإنفاق .

(٣) يراجع محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، ٧٠٢/٢، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

ب- مجيء الآية الكريمة هنا على نحو هذا الترتيب مناسبًا للسياق، فهناك غرض من هذا الترتيب وهو أن الآية الكريمة بمثابة إفضاء إلى المقصود وهو الأمر بالصدقات بعد أن قدَّم بين يديه مواعظ وترغيب وتحذير. وهي طريقة بلاغية في الخطابة والخطاب. " (١)

ج- سياق الآية الكريمة فيه إشارة إلى حال المحتاج، حيث جاء بلفظ (الإغماض) والذي يدل على حياء الفقير الآخِذ لهذا المال على كراهية منه وعدم رغبة فيه، وهو الأمر الذي يتنافى مع مقصود الصدقة المثمثل في تطهير النفوس، وتطييب القلوب، ورفعة الدرجات، ولفظة (الإغماض) إما من قول العرب أغمض الرجل في الأمر إذا تساهل ورضي ببعض حقه فيه ،...، وإما من تغميض العين لأن الذي يريد الصبر على مكروه يغمض عنه عينيه،...، وهذا كالإغضاء عند المكروه." (٢) ، **فكأن هذه اللفظة بمثابة التعليل للنهي الوارد في الآية الكريمة.**

وبعد أن بينت الآية الكريمة هذا الأدب من تحري الجيد من المال في الإنفاق، أعقبت ذلك بالتحذير والتنفير من الإمساك عنه أو إنفاق الخبيث منه ببيان ما يدعو إلى الإمساك، وما يدعو إلى الإنفاق في قوله تعالى:

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ (٣) ، فسياق الآية مناسب للآية التي قبلها

(١) التحرير والتنوير ٥٥/٣.

(٢) يراجع المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٦٣/١ .

(٣) سورة البقرة/ آية ٢٦٨.

من حيث كونه بمثابة استئناف لبيان سبب تَيَمُم الخبيث في الإنفاق وتهوين شأنه." (١)

ويظهر أثر السياق في ارتباط الآيات بعضها البعض كاللحمة الواحدة، ويؤكده أمور

أولًا: تقديمه في هذه الآية لحال الشيطان ووَعْدِه في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ الأمر الذي يتناسب مع تَيَمُم الخبيث في الآية السابقة، فكأنه قال: إن الشيطان هو مَنْ يأمركم بتيمم الخبيث مِن المال في الإنفاق، وفي هذا زيادة تحذير للمؤمنين من فِعْل ذلك، وليس أدل أن ذلك فِعْل الشيطان من ذِكْر قصة سيدنا آدم –عليه السلام– في أول ورود لها في سورة البقرة؛ لبيان أن الشيطان دائم الوسوسة لابن آدم بالبخل والشح، هذه الوسوسة التي كانت سببًا في خروج سيدنا آدم –عليه السلام– وزوجه السيدة حواء من الجنة.

ثانيًا: اختيار لفظ (الفحشاء) دون أي لفظ آخر مرتبط بالإنفاق كالإمساك أو البخل مثلًا له دلالته القوية في التحذير مما يدعو إليه الشيطان، ولذلك أعقبه بوعد الله –سبحانه وتعالى– بالمغفرة والأجر، كذلك فيه دليل على أن البخل والإمساك عن الإنفاق يُعَدُّ من الفحشاء، والتي هي منبع الشرور كلها.

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، ٣٩/٢، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس) .

فالمقصود بالفحشاء: كل ما اجتمعت عليه استقباحات العقل والشرع والطبع ....، وأعظم مرادٍ بها هنا البخل لمناسبة ذِكْرِ الفقر، فعلى البخل تنبني كل الشرور." (١)

ثالثًا: ختام الآية الكريمة بالاسمين الجليلين في قوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ والمتناسِبَيْن مع وعده

-ﷻ- بالمغفرة والأجر، فهو تعالى واسع المغفرة لعباده، عليم بما ينفقون لا يضيع أجرهم، بل يجازيهم على إنفاقهم أفضل الجزاء، وفي هذا باعث على الإنفاق وترغيب فيه -المقصد الرئيس من ضَرْب الأمثال-، ويؤكد ذلك ورود نفس هذا الختام في المثل الأول المضروب لبيان الإنفاق الصحيح وأثره.

يأتي بعد الاستئناف السابق في الآية والذي كان غرضه بيان سبب تَيَمُم الخبيث في الإنفاق وتهوين شأنه لون جديد من ألوان الحث على الإنفاق والترغيب فيه، وذلك في قوله تعالى:

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٢)؛ حيث بينت الآية الكريمة تفضل المولى -ﷻ- على مَنْ يشاء مِنْ عباده بإيتائه الحكمة وهي إصابة الصواب في القول والفعل." (٣) ، **وقد بدا أثر السياق في هذه الآية مع ما قبلها واضحًا من وجوه**

(١) يراجع نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٩٢/٤ .

(٢) سورة البقرة/ آية ٢٦٩.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ٥٧٩/٥.

أولًا: مجيء قوله تعالى:﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ بإضمار الاسم الجليل متناسبًا مع ختام الآية السابقة بقوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾؛ حيث دلَّ هذا الختام على الاسم المضمر كأنه قال: ومن واسع علمه تعالى إيتاء الحكمة مَنْ يشاء مِنْ عباده.

ثانيًا: اختيار التعبير بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾، وهو تعبير باعث للهمة ومناسب لغرض التحريض، كما أن مجيئه بصيغة البناء لما لم يسم فاعله دون لفظ آخر كـ (يؤتيه الحكمة) فيه إشارة إلى أن إيتاء الحكمة، والعمل بها إنما يكون بسعايةٍ من المُنْفِق، واجتهادٍ مرتبط بتوفيق من الله -ﷻ- ، وقد أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١)

ثالثًا: الإشارة في قوله تعالى:﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ إلى أن حكم الحكمة والعقل هو الحكم الصادق، وحكم الحس والشهوة والنفس تُوقِع الإنسان في البلاء والمحنة، فكان بهذا حكم الحكمة والعقل أولى بالقبول." (٢) ، وهو ما تناسب مع قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ ﴾ في الآية السابقة.

(١) سورة العنكبوت/ آية٦٩ .

(٢) يراجع مفاتيح الغيب ٥٨/٧ .

رابعًا: مجيء ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾حيث عبَّر بلفظ:

﴿ يَذَّكَّرُ ﴾الدال على الاستحضار، والاسترجاع في الذهن، والمحافظة من المُتَذَكِّر على ما آتاه الله تعالى من الصواب في القول والفعل، ثم مجيء جملة ﴿ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ وهم أصحاب العقول السليمة، وفي هذا كله حث على العمل بطاعة الله، والامتثال لأمره بالإنفاق، ونهيه عن التصدق بالخبيث، وتحذيره من وعْد الشيطان، ووثوق المنفق بوعد الله، والتنبيه على أن الحكمة هي العقل المميَّز به بين الحق والباطل." [1]، **وهذا كله هو عين ما دعت إليه آيات الإنفاق من بدايتها.**

إحاطة علمه -تعالى- بالبادي والخفي

بعد أن انتهت الأمثال الأربعة المضروبة بغرض الحث على الإنفاق وما تلا ذلك من حديث عن بعض آداب الإنفاق، أقبلت بعد ذلك الآيات التالية لها لتؤكد على نفس الأمر -الحث على الإنفاق- لكن بلون آخر من ألوان الحث، وذلك من خلال التأكيد على إحاطة علم الله -ﷻ- بكل أشكال النفقات البادي منها والخفي، ثم بيان حكم الصدقات والأفضلية فيه، وبيان مهمة النبي -ﷺ- المتمثلة في البلاغ والتبشير والإنذار، ثم بيان أوصاف المستحقين للإنفاق، وأخيرًا الختام الأروع لآيات الإنفاق في السورة الكريمة ببيان فَضْل الإنفاق في كل الأوقات والأحوال.

(١) يراجع البحر المحيط في التفسير ٦٨٦/٢ .

وقد ابتدأت حثَّها ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(١) ؛ لبيان سعة علمه تعالى وإحاطته بأنواع النفقات المختلفة، ماكان منها في سبيله وهو المقبول الذي يجازي الله تعالى صاحبه بأضعاف مضاعفة، وما كان في غير سبيله وهو المردود الذي أوعد الله تعالى صاحبه بأليم العقاب؛ تحذيرًا لهؤلاء المنفقين من صَرْفها في غير سبيله، والذي هو وجه الحكمة التي بينته الآية السابقة وحذرت منه هذه الآية بتعبيرها بلفظ الظلم الذي هو تجاوز الحد المطلوب.

وقد تناسب سياق هذه الآية مع ما قبلها من وجوه:

أ- قوله تعالى:﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾يشمل كل أنواع النفقات سرًا كانت أو علانية، قليلة كانت أو كثيرة، أُتْبِعت بِمَنٍ أو أذى أو لم تُتْبَع، نذرًا كانت أو غير نذر، فهو – ﷻ– عالم بها مُحصٍ لجميع أنواعها، فالآية الكريمة فيها حثٌّ ثالث على تحري أجود المال في الإنفاق بعد أن سبق الحث عليه مرتين في قوله تعالى:﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾، وفي قوله تعالى:﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ ﴾ وكل ذلك غرضه التأكيد على هذا الأدب

(١) سورة البقرة/ آية ٢٧٠.

-تحري الجيد من المال في الإنفاق-.

ب- مجيء لفظ (النذر) في الآية الكريمة ضمن الحديث عن النفقة، والمقصود به: ما يفعله الإنسان بعد إلزامه لنفسه." [١]، فالآية تبين أن مِثْله -أي النذر- مِثْل النفقة في حكمها، قليلًا كان أو كثيرًا، ولعل تخصيصه بالذكر في الآية شيوعه بينهم في الجاهلية، فكأنه أشار بالنفقة إلى ما أمرهم الله تعالى به، وبالنذر إلى ما ألزموا أنفسهم بفعله.

ج- ختام الآية بقوله تعالى:﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾فيه لون من التحذير للمؤمنين من الإنفاق المتبوع بالمن والأذى والرياء الوارد ذِكْره في الآيات السابقة، كما أن فيه وعيدًا لهؤلاء الظالمين المتجاوزين الحد باتباعهم سُبُل الشيطان في إنفاقهم بقطع الولاية عنهم، وهو نوع من المقابلة بينه وبين التحذير السابق للمؤمنين.

أفضلية إخفاء الصدقة

تنتقل آيات الإنفاق بعد ذلك إلى بيان حكم آخر من أحكام الصدقة والأفضلية فيه؛ حثًا على تحريه باعتباره أدبًا من آداب الإنفاق، قال تعالى:

﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [٢]

ومناسبة سياق الآية لما قبلها واضح من حيث: إنه -ﷻ- بيَّن في آيات ضرْب المثل أن الإنفاق على ضربين، منه المتبوع مِنْ صاحبه بالمن والأذى، ومنه غير المتبوع، وذكر في الآيات حكم كل نوع منهما، ثم بيَّن

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٦٥/١ .

(٢) سورة البقرة/ آية ٢٧١.

بعد ذلك أن هناك إنفاقًا من جيد المال، وإنفاقًا من رديئه، وذكر في الآيات أيضًا حكم كل نوع منهما، وفي هذه الآية بيَّن أن الإنفاق منه الظاهر ومنه الخفي، ولكل نوع منهما حكم.

فالآية الكريمة جاءت لبيان حكم الصدقة من حيث الإعلان والتستر في إخراجها، والأفضلية في ذلك من باب حث المنفقين على تحري الأفضل بإخفائها، والحذر من الوقوع في مَزْلَق الرياء بإعلانها.

وقد بيَّن قوله تعالى:﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ أن إعلان الصدقات عند إخراجها هو أمر مشروع طالما صاحَبَهُ إخلاص محمود، وعلى هذا لا يظن ظانٌ أن الإخلاص في الصدقات يستلزم الإخفاء لها؛ لأن هذا الظن قد يتبادر إلى الذهن من استعمال لفظ (البُدُوِّ) دون لفظ (الإعلان)؛ فلفظ الإعلان يدل على قصْدِ الظهور، ويُراد به إظهار الشيء مع الإشارة إليه." [1] ، بخلاف لفظ (البُدُوِّ) الذي يكون بغير قَصْد الظهور، فكأنه قال: إن أظهرتم الصدقات بغير قصد أو إشارة فنعما هي، وإن أظهرتموهم بقصد أو إشارة فبئست الصدقات، وهذا ما أفاده قوله تعالى: ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾.

وإذا كان إظهار الصدقة عند إخراجها فاضلٌ، فالأفضل فيها الإخفاء، وهذا ما بينه قوله تعالى:﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ، يؤكد هذا المعنى قوله –صلى الله عليه وسلم– في حديث السبعة الذين يظلهم الله –تعالى– في ظله يوم لا ظل إلا ظله:﴿... ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه...﴾ الحديث [2]

(١) يراجع معجم مقاييس اللغة ١١١/٤، (مادة: عَلَنَ) .

(٢) سبق تخريجه في المبحث الأول عند الحديث عن التعريف بالإنفاق.

ويؤيد أفضلية الإخفاء مجيء قوله تعالى: ﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ بعده؛ حيث بيَّن أن تشريع إخفاء الصدقة التي تؤتى للفقير إنما هو من باب الستر عليه، وحِفْظِ ماء وجهه، كما أن فيه نوعًا من عدم المراءاة بالنفقة كذلك.

وقد ظهر أثر السياق واضحًا في قوله تعالى:﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، فهو بمثابة العلة في أفضلية الإخفاء، وهي الخيرية المتنوعة، فهذه الجملة بينت أن الصدقة على النحو المذكور هي خير للمُنْفِق حيث سَلِم إنفاقه من الرياء المُحْبِط للجزاء المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾، وخير للمُنْفَق عليه بالستر عليه وحِفْظِ ماء وجهه، وخير للمجتمع بالمودة والألفة التي جلبتها الصدقة بين نفوس المؤمنين.

فقوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ فيه بيان جزاء الصدقة على النحو المذكور سلفًا بالتكفير من سيئات صاحبها.

ثم كان الختام بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ مناسبًا للسياق، حيث بيَّن عِلْمه -ﷻ- التام بما بدا من الصدقات وما خفى منها، كذلك اختيار الاسم الجليل(الخبير) الدال على علمه بالخفي من الأشياء واللطيف الدقيق منها مناسبًا لتفضيل صدقة السر والخفاء عن الصدقة الظاهرة .

مهمة النبي –ﷺ–

بعد ذلك تنتقل آيات الإنفاق لتبين مهمة النبي –ﷺ– المتمثلة في البلاغ والتبشير والإنذار، وأن اهتداء هؤلاء المكلفين إلى ما يأمرهم به، وانتهاءهم عما ينهاهم عنه ليس من قبيل الواجب عليه، فقال تعالى:﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(١)

وقد ارتبط سياق هذه الآية مع الآيات السابقة عليها من وجوه

أولًا: بينت الآيات السابقة أنواعًا مختلفة مِن المنفقين، فهناك مَن يتبعون نفقاتهم بالمن والأذى، ومَن ينفقون أموالهم رئاء الناس، ومَن يتيممون في إنفاقهم الخبيث من الأموال، وغيرهم ممن يَعِدُهُم الشيطان الفقر ويأمرهم بالإمساك والبخل، ووجود مثل هذه الأنواع مِن المنفقين مما يَثْقُل على قلب النبي–ﷺ–، فجاءت الآية الكريمة لِتُسَكِّن قلب النبي–ﷺ–، ولتبين مهمته من البلاغ والتبشير والإنذار، ولتؤكد على أن اهتداء الناس هو أمر موكول إلى ربهم –ﷻ–،

قال تعالى:﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾(٢)، فالآية الكريمة بهذا المعنى تبيح إعطاء صدقة التطوع لغير المسلمين، يؤكد هذا ما ورد في سبب نزول الآية، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسبائهم من المشركين فسألوا فنزلت هذه الآية: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن

(١) سورة البقرة/ آية ٢٧٢.

(٢) سورة الشورى/ جزء آية ٤٨ .

يَشَآءُۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾" [1]والمقصود بقوله:(يرضخوا) أي يستسلموا ويذعنوا لأنسابهم من المشركين ويتصدقوا عليهم، ودليل جواز ذلك أن النبي-ﷺ- في الزكاة الواجبة كان يعطي المؤلفة قلوبهم امتثالًا لأمر ربه، وترغيبًا لهم للدخول في الإسلام مع ما في الزكاة المفروضة من عِظَم شأنها عن صدقة التطوع." [2]

ثانيًا: حثت هذه الآية المخاطبين بالإنفاق في الآيات السابقة على الامتثال لما أمرهم به الله -تبارك وتعالى- من أوامر، والانتهاء عما نهاهم

---

(١) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، لخالد بن سليمان المزيني ٢٩٥/١، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م) ، عدد الأجزاء:٢، وهذه الرواية كما ذكر صاحب الكتاب مرجحة عنده لصحة سندها، وتصريحها بالنزول، وموافقتها للفظ الآية، واحتجاج المفسرين بالمعنى الذي دلَّت عليه .

(٢) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة ٢٩٧/١، وللعلماء في إعطاء غير المسلم من الزكاة المفروضة أو الصدقة أقوال، أن الصدقة المباحة لهم هي صدقة التطوع، ودليلها سبب النزول المذكور وغيره من الآثار الأخرى، أما الزكاة المفروضة فلا يُجْزئُ دفْعُها لكافر، وقد خالف هذا الرأي البعض الآخر من العلماء؛ حيث قال بجواز إعطاء القرابة من المشركين الزكاة المفروضة، مستندين إلى أن بعض الآيات القرآنية والآثار تقتضي جواز صرف الصدقات إليهم جملة، إلا أن النبي -ﷺ- خص منها الزكاة المفروضة، لقوله -عليه السلام- لمعاذ:﴿خذ الصدقة من أغنيائهم ورُدَّها على فقرائهم﴾ ، فيُصرف إليهم من صدقة التطوع إذا احتاجوا." يراجع الجامع لأحكام القرآن ٣٣٨/٣.

عنه من نواهٍ بطريق الالتفات إلى الغيبة، وليس أدل على ذلك من عود الضمير في قوله تعالى: ﴿هُدَىٰهُمۡ﴾لأولئك المخاطبين سلفًا.

ثالثًا: بينت هذه الآية أن هناك نوعًا من الناس لم يهدهم الله تعالى إلى الصواب في القول أو العمل وهم بذلك ممن لم يؤتهم الله الحكمة في قوله تعالى:﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ .

رابعًا: تكرار لفظ الإنفاق ثلاث مرات في الآية، مرتين بلفظ (تُنْفِقُوا)، ومرة بلفظ (تُنْفِقُونَ) بمثابة الإجمال لما تضمنته آيات الحث على الإنفاق السابقة، حيث بينت الآية الكريمة أن كل ما ينفقه الإنسان هو عائد إليه في الدنيا والآخرة، فعليه أن يكون خالصًا النية في إنفاقه، قاصدًا به وجه ربه، راجيًا مثوبته، غير مانٍ ولا مؤذٍ ولا متيممًا خبيث ماله في الإنفاق؛ ولذا عبَّر عن نفقته بقوله: ﴿خَيۡرٖ﴾ في إشارة إلى ما ينبغي أن يتحراه المنفق من الإخلاص، فكل ما ينفقه الإنسان يعود إليه وافيًا كاملاً غير منقوص، **وهذا كله من باب المبالغة في الحث على الإنفاق.**

أوصاف المستحقين للنفقة

تنتقل آيات الإنفاق بعد ذلك سالكة مسلكًا آخر في حثها عليه ببيان أوصاف المستحقين له، مؤكدة بذلك على ارتباط سياق الآية بما قبلها في قوله تعالى:﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَىٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾(١)

فالآية السابقة وإن كانت قد أباحت إعطاء الصدقة للمسلمين ولغيرهم؛ فقد بينت هذه الآية مَنْ هم أكثر استحقاقًا لها بالأوصاف المذكورة فيها.

(١) سورة البقرة/ آية ٢٧٣.

وقد وصف الله –تعالى– الفقراء المستحقين للإنفاق بعدة أوصاف هي: إحصارهم– حبْسهم أنفسهم– عن الكسْب بسبب وقْفِها على الجهاد في سبيل الله، أو بسبب خوفهم من عدوهم، كما وصفتهم بالعجز عن السعي في الأرض من أجل تَكَسُّب معايشهم، وجهل الناظر لهم بحقيقة حالهم ظنًا منه أنهم أغنياء، وشدة تعففهم، وظهور أثر العبادة والحاجة والفقر عليهم، وتَرْكهم سؤال الناس، وهم إنْ اضطروا للسؤال، سألوا بعفة وحياء من غير إلحاح." (١)

وهذه الصفات المذكورة هي صفات باعثة على الإنفاق من حيث إنها أدل الصفات على حال الفقراء المحتاجين، كما أنها صفات محمودة توجب الحُنُوَّ على المتصفين بها.

كذلك ختام الآية الكريمة بقوله تعالى:﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ فيه مزيد تحريض وحث على الإنفاق؛ حيث بيَّن هذا الختام أن عِلْمَه تعالى مُحْصٍ لكل شيء، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وسيجازي هؤلاء المنفقين على إنفاقهم بأتم الجزاء.

فَضْل الإنفاق في كل الأوقات

تُخْتَتَم آيات الإنفاق في سورة البقرة بختام رائع تبين فيه فَضْل الإنفاق في كل الأوقات والأحوال، وعظيم الأجر على ذلك، في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٢)

(١) يراجع مفاتيح الغيب٧/ ٦٧، ٦٨ .

(٢) سورة البقرة/ آية ٢٧٤.

وقد دلت الآية الكريمة على فضل كل مِنْ النفقة الدائمة والنفقة في الجهاد، وفَضْل الإكثار من النفقة عمومًا والمداومة عليها، وفَضْل نفقة الليل على النهار ونفقة السر على العلانية، وفَضْل النفقة وقت الحاجة.

يؤكد على تلك المعاني تعدد الروايات في سبب النزول.

قيل: إنها نزلت في عَلَف الخيل المرتبطة للجهاد في سبيل الله تعالى، ويؤيد ذلك ورودها عقب قوله تعالى:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فقد اشتملت على مَنْ أُحْصِر عن التكسب بسبب الجهاد في سبيل الله ، والمقصود بعَلَف الخيل المرتبطة للجهاد في سبيل الله تعالى: تسمينها بالعلف؛ من باب تقويتها في ساحة الجهاد ضد أعداء الإسلام.

وقيل: نزلت في علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- كان عنده أربعة دراهم، فأنفق بالليل واحدًا وبالنهار واحدًا وفي السر واحدًا وفي العلانية واحدًا." [1]، وقيل: نزلت في المنفقين من غير تبذير ولا تقتير، وقيل: نزلت في أبي بكر -رضي الله عنه-، تصدَّق بأربعين ألف دينار: عشرة بالليل، وعشرة بالنهار، وعشرة في السر، وعشرة في الجهر." [2]

---

(١) يراجع أسباب النزول المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، ٩٠، ٩١ .المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، وقد ذكر القرطبي هذه الرواية بنصها عن أبي ذر وأبي أمامة وأبي الدرداء وعبد الله بن بشر الغافقي والأوزاعي.

الجامع لأحكام القرآن (٣٤٦/٣)

(٢) يراجع البحر المحيط في التفسير ٧٠١/٢ ، وعند السيوطي في إسنادها ضعف يراجع لباب النقول في أسباب النزول

المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ص٣٩، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

فهذه الروايات جميعها قد أثْنَت على المنفقين في جميع أحوالهم، وهي وإن نزلت على سبب خاص، إلا أنها عامة في كل ما دلت عليه ألفاظ الآية الكريمة.

وقد ذكرت الآية الكريمة لإخراج الصدقة وقتين (الليل، النهار)، وحالين (السر، العلانية)؛ لتؤكد بهذا على فضلية التنوع في إخراجها.

ولعل السر في تقديم وقت على وقت آخر–الليل على النهار–، وتقديم حال على حال آخر–السر على العلانية– الدلالة على تفضيل المُقَدَّم؛ لكون صدقة الليل والسر أخفى.

وقد اختتمت هذه الآية ببيان أجر مَنْ يُنْفق في هذه الأوقات والأحوال فقال تعالى:﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

والمتأمل في ورود هذا الجزاء يجد أنه قد دخلت عليه (فاء) السببية، التي دلَّت على ترتيب الأجر على الفعل

–الإنفاق– دلالة ترتيب جواب الشرط على فِعْلِه، وفي هذا زيادة حض على الإنفاق.

وقد تناسب ختام هذه الآية مع الختام الوارد في المثل الأول والمضروب لبيان الإنفاق الصحيح الخالي من المن والأذى وأثره، وفيه أيضًا مزيد حض على الإنفاق.

كذلك ختمت بنفي الخوف عن هؤلاء المنفقين يوم القيامة والحزن عنهم في الدنيا، والمناسب كذلك لسياق الحض على الإنفاق، من حيث إن الشيطان دائم الوسوسة لابن آدم، وقد يقع في نفس المنفق شيء من الخوف أو الحزن بسبب ما أنفقه من ماله، وهذا كله خشية الفقر، فناسب في هذه الحالة أن يتضمن الجزاء نفي الخوف والحزن؛ ضمانًا للمنفق بعدم حصول ذلك له .

وقد تناسب سياق آخر الآيات ذِكْرًا للإنفاق مع آياته السابقة عليها في السورة الكريمة وظهر أثر ذلك فيما يلي:

١- دلَّ البدء والختام على نفس الغرض -الحث على الإنفاق-؛ لما له من أهمية في حياة الفرد والمجتمع، وما بين البدء والختام من ذِكْرٍ للإنفاق دائر في نفس فلك السياق، الأمر الذي يشير إلى الوحدة الموضوعية بين ألفاظ الإنفاق المختلفة داخل السورة الكريمة.

٢- تصريح أسباب النزول المتعددة لهذه الآية بما دلَّت عليه ألفاظ الإنفاق على مدار السورة-كما أوضحت سلفًا-.

٣- ختام هذه الآية بما يفيد أجر الإنفاق إجمالًا بكافة صوره وأنواعه، فكأن القاريء لآيات الإنفاق على مدار السورة ظل سائرًا في رحلة طويلة إلى أن وصل نهايتها ببيان جزاء الإنفاق في كل الأوقات والأحوال وعلى كل الصور، وهو الأمر الذي تناولَتْه آيات الإنفاق في كل مبحث لها على حده.

٤- تعظيم هذا الأجر والمناسب لغرض الختام جاء من عدة وجوه،

أولًا: دلّ تنكير الأجر في قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وعدم ذِكْر هيئته على عِظَمِه، أي: لهم عند خالقهم أجرٌ عظيمٌ لا يُقادَر قدْره.

ثانيًا: تنكير نفي الخوف جاء في قوله تعالى:﴿وَلَا خَوْفٌ﴾ لتذهب النفوس في نفيه كل مذهب.

ثالثًا: مجيء نفي الحزن في قوله تعالى:﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بصيغة المضارعة التي تدل على التجدد والحدوث، فكل هذه الأمور مجتمعة دلت على تعظيم أجر الإنفاق، كما أن في ثناياها باعث للنفوس على التخلق به.

المبحث السادس

أثر الإنفاق على الفرد والمجتمع

إن المتأمل فيما مر من آيات الإنفاق في سورة البقرة يلاحظ أن الإنفاق خُلُقٌ كريم حثت عليه آياته على مدار السورة ورغبَّت فيه بكل أشكاله وصوره، وليس هذا إلا لآثاره الإيجابية على الفرد والمجتمع، تلك الآثار الإيجابية التي تنوعت ما بين آثار دينية، ونفسية، وصحية، واقتصادية، واجتماعية.

أولًا: من الناحية الدينية

تظهر آثار الإنفاق الإيجابية من الناحية الدينية في أمور:

١- ولاية الله تعالى لعباده المنفقين، فالإنفاق خُلُق كريم إذا ما تَخَلَّق به الإنسان كان في ولاية الله -تبارك وتعالى- وفي ضمانه وأمانه،

قال تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[١] ، وقد سبق بيان ذلك بالتفصيل عند الحديث عن الحث على الإنفاق بِضَرْب الأمثال.

٢- الأجر العظيم من الله تعالى للمنفقين جزاء إنفاقهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى:﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾. [٢]

(١) سورة يونس/ آية ٦٢ .

(٢) سورة الحديد/ آية ٧.

٣- مغفرة الله تعالى للمنفقين، وتجاوزه عن أخطائهم، قال تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾. (١)

ثانيًا: من الناحية النفسية

إن للإنفاق أثرًا كبيرًا في طمأنة نفْس المنْفِق؛ بسماعه وعد الله تعالى له بالمغفرة والفضل، والجزاء المُضاعف أضعافًا كثيرة، وعدم السماع لهمزات الشيطان وتخويفه بالفقر، هذا الوعد الذي إذا ما أدركته أُذُنُ المنْفق واستمعت إليه، لامس قلب صاحبها سلام نفسي وراحة ما فوقها راحة، كيف لا وهو وعد من مولاه -تبارك وتعالى-؟!

ثالثًا: من الناحية الصحية

أما من الناحية الصحية فللإنفاق أثر إيجابي على صحة الإنسان، يظهر ذلك واضحًا في السلام والطمأنينة والهدوء الذي يفيض به الإنفاق على نفْس المنفِق الذي امتثل أمر ربه -ﷻ- في الإنفاق، وتحرى إنفاق الجيد مِنْ ماله، وتَيَقَّن بتحقيق وعد الله تعالى له، وكل هذه أمور من شأنها أن تؤثر إيجابيًا على صحة الإنسان، وتَقِيه من الأمراض العضوية الكثيرة التي يسببها التوتر والقلق، وما ذلك كله إلا لأن الإنفاق طُهْرة للقلوب وتزكية للنفوس .

قال تعالى:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا..﴾ (٢)

(١) سورة التغابن/ آية ١٧.

(٢) سورة التوبة/ جزء آية ١٠٣.

رابعًا: من الناحية الاقتصادية

نستطيع أن نتلمس الآثار الطيبة للإنفاق من الناحية الاقتصادية ببيان دوره البارز في قيام المجتمع وإنشائه والمحافظة على بقائه بطرق شتى كالحد من السرقة والتعدي على حقوق الآخرين، وحِفْظ أمن المجتمع بِعَيْشِ أفراده في أمن وأمان، ووقايته من الكثير من الشرور.

وقد لوحظ ذلك جليًا عند الحديث عن سياق الإنفاق في سورة البقرة وما له من أثر –موضوع البحث–؛ ببيان المقصود من الإنفاق في كل موضع منها، سواء كان المقصود منه الزكاة المفروضة، هذه الزكاة التي بِفَرْضِها أوجبت للفقراء حقًا على الأغنياء في أموالهم، أم كان المقصود منه الإنفاق لإعداد الجيوش وتقويتها للجهاد في سبيل الله، وتقوية بنيان الدين الإسلامي وأصوله التي يرتكز عليها، أم كان المقصود منه غيرها من صدقات التطوع .

فالإنفاق وإن تنوعت أشكاله ومظاهره، إلا أنه بدءًا ومنتهىً يُعَدُّ مظهرًا من مظاهر شُكْرِ الله تعالى على نعمة المال، كما أن الإصابة والخطأ فيه هو ميزان ارتقاء الأمم وتدهورها.

ولا يتبادر إلى الذهن أن أثر الإنفاق الاقتصادي مُنْصَبٌ على المنتفع به – أي المُنْفَق عليه– فقط ، بل إن نفْعَه يمتد ليشمل المُنْفِق أيضًا، وقد تبين ذلك عند الحديث عن أولويات الإنفاق والسؤال عن جهة الإنفاق في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (١)، والإتيان بلفظ (خير) الذي يبين أن المال المُنْفَق هو خير على كل حال، فهو خير للمُنفِق، وخير للمُنْفَق عليه، وخير للمجتمع ككل.

(١) سورة البقرة/ آية ٢١٥.

خامسًا: الآثار الاجتماعية

هناك آثار إيجابية يتركها الإنفاق في المجتمع، كدوره المحوري في نَزْعِ الكراهية والحقد والغل والحسد من النفوس، وتأليفه بين القلوب، وربْطِها برباط الأخوة والمحبة والمودة، وتعويدها الإنفاق والبذل والإيثار وتحري الجيد من المال في الإنفاق، في وسيلة منه لخَلْق نوع من التكافل والتكامل بين أفراده، والمحافظة على استمرار المجتمع الإسلامي وبقائه.

وليس أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (٢)، وغير ذلك من آيات .

فقد بينت هذه الآيات أن للصدقة دورًا كبيرًا في القضاء على فساد الأخلاق، وأنَّ عدم الإنفاق إنما يعود إلى ما جبلت عليه نفس الإنسان من الشح والضَّن بما عندها، وعلى الإنسان أن يُغالب شح نفسه، فإذا ما غلبها أنفق على غيره وآثره على نفسه، وقضى بذلك على خُلُق ذميم هو الشح والبخل، وتخلَّق بِخُلُق كريم هو الإنفاق والإيثار، هذا الخُلُق الذي يأخذ بيده إلى زمرة المفلحين .

(١) سورة الحشر/ آية ٩ .

(٢)سورة التغابن/ آية ١٦ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد -ﷺ- وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدين

وبعد

فقد وفقني الله بعون منه -ﷻ- وفضل لإتمام كتابة هذا البحث، وفيما يلي عرض لأهم نتائج دراسة هذا الموضوع، وكذلك عرض لبعض التوصيات

أولًا: نتائج البحث

١- معنى السياق في اللغة يدور حول التتابع والتوالي والجَمْع والاتصال والتسلسل .

٢- المعنى الاصطلاحي للسياق لا يبعد عن المعنى اللغوي له، حيث إن معناه تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده، وهو المعنى الذي دار حوله السياق في اللغة.

٣- السياق فى اصطلاح المفسرين لم يبعد عن المعنى اللغوي والاصلاحي له، غير إنه اختُص بالآية القرآنية وتتابع المفردات والجمل القرآنية المترابطة بها؛ لأداء المعنى.

٤- أهمية السياق وما له من أثر؛ حيث يُعَدُّ السياق القرآني من تفسير القرآن بالقرآن، كذلك إعمال النبي -ﷺ-، وإعمال صحابته -رضي الله عنهم- لأثر السياق القرآني واعتبارهم له في التفسير يؤكد على هذه الأهمية، وأيضًا كلام العلماء في اعتبار أثر السياق وأهميته في التفسير، هذه الأهمية التي تكمن في ترجيح أو تضعيف بعض القراءات وتوجيهها، كشف المعاني، إظهار المناسبة بين آيات القرآن الكريم، ودفع ما يوهم الإشكال والتناقض بين آيات القرآن الكريم إلى غير ذلك من آثار.

٥- المعنى اللغوي للإنفاق يدول حول الانقطاع والذهاب أو المضي والنفاد، والإخفاء والإغماض .

٦- لم يبعد المعنى الاصطلاحي للإنفاق عن المعنى اللغوي له، حيث إن معناه بذْل المال أو غيره في وجه من الوجوه، وهو أحد المعاني التي دار حولها الإنفاق في اللغة.

٧- تَنَوُّع سياق آيات الإنفاق في سورة البقرة؛ لبيان أهمية الإنفاق من حيث كونه ركن من الأركان التي يرتكز عليها بنيان دين الإسلام، وهو الأمر ذاته الذي انبنت عليه السورة الكريمة.

٨- تنوعت معاني لفظة الإنفاق في السورة الكريمة، وكان للسياق أثره الواضح في تعيين المراد من كل منها، حيث شملت ما كان من قبيل المفروض منها كالزكاة الواجبة على الإنسان في ماله، وما كان من قبيل التطوع- كما في مبحث الحث على الإنفاق بِضَرْب المثل-، بل امتدت لتشمل أيضًا ماهو من باب الاستعداد للقتال وتجهيز الجيوش- كما في مبحث الأمر الصريح بالإنفاق-.

٩- الوحدة الموضوعية بين ألفاظ الإنفاق المختلفة في السورة الكريمة، والتي هي في مجموعها حثٌّ عليه؛ لبيان أن دخول الإنسان الجنة هو أمر مرتبط بما يبذله من عطاء، سواء كان هذا العطاء المبذول واجبًا عليه أم تطوعًا.

١٠-على الإنسان أن يبادر بالإنفاق؛ لأن الأحوال تتغير، والفُرَص تنقضي، والمبادرة باغتنامها هو دليل العقل والتدبير.

١١-للإنفاق أولويات يجب على المُنْفِق مراعاتها، سواء كانت هذه الأولويات من حيث الجهة المقصودة بالإنفاق وابتدائها بالوالدين وما يتبع ذلك من جهات، أم من حيث السؤال عن المقدار المُنْفَق والإجابة عنه بالفاضل عن حاجة الإنسان، في محاولة لإشاعة المودة والرحمة

بين أطياف المجتمع الإسلامي، وكذلك طمأنة نفس المُنْفِق ببيان أنه غير مجبور على التصدق بما هو في حاجة إليه من مال، بل بالفاضل عن حاجته وحاجة مَنْ يعول.

١٢-لكون المال شقيق الروح ولا تنفك النفوس مِن تعلُّقِها به، كان لابد من ترويضها بوعظ طويل تَرِقُّ به القلوب كما في آيات ضَرْب الأمثال، والتي هي واحدة من أساليب الحث على الإنفاق.

١٣-ليس كل إنفاق محمودًا ومقبولًا، فالإنفاق المحمود المقبول له آداب، أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى لا رياءً ولا طلبًا لمحمدة، غير مانٍ به صاحبه ولا مؤذٍ غيره بإنفاقه عليه، ولا متحريًا إخراج الخبيث مِن ماله، فإنه إنْ فَعَل ذلك كان إنفاقه مردودًا غير مقبول.

١٤- إذا كان إبداء الصدقة فاضلاً فالأفضل فيها الإخفاء، وعلى ذلك تُفَضَّل صدقة السر على صدقة العلن، وصدقة الليل على صدقة النهار.

١٥-إباحة إعطاء الصدقة للمسلمين ولغيرهم ما دعت الحاجة لذلك.

١٦- أكثر فقراء المسلمين استحقاقًا للإنفاق مَن حبسوا أنفسهم عن الكسب بسبب وقْفِها على الجهاد في سبيل الله تعالى، أو بسبب خوفهم مِن عدوهم، أو عجزهم عن السعي في الأرض مِن أجل تَكَسُّب معايشهم، كما أن مِن أوصافهم جَهْل الناظر لهم بحقيقة حالهم، إما ظنًا منه أنهم أغنياء لشدة تعففهم، أو مِنْ أثر الحاجة والفقر عليهم.

١٧-الإنفاق مظهر من مظاهر شُكْرِ الله تعالى على نعمة المال.

١٨-للإنفاق دور كبير في إصلاح النفس البشرية والترفع بها عن نزغات الشيطان من البخل والشح.

١٩-يورث الإنفاق العبد ولاية الله تعالى له، ومغفرته لذنوبه، والأجر العظيم على إنفاقه.

٢٠-يُكْسِب الإنفاق المُنْفِق طمأنينة في النفس، وسلامة في البدن، حيث السلام النفسي والهدوء وعدم المعاناة من التوتر والقلق المتسبب في الكثير من الأمراض العضوية.

٢١-للإنفاق دور كبير في إصلاح المجتمع، والقضاء على الآفات المتفشية فيه والمحافظة على استمراره.

ثانيًا: التوصيات

- توجيه همم العلماء المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن للكتابة في موضوع السياق وأثره، وإفراده بالتأليف كبابٍ من أبواب علوم القرآن.
- الاهتمام بتدريس السياق وأثره ضمن مقررات علوم القرآن، لما له من عظيم الأثر في فهم النص القرآني فهمًا صحيحًا، بل في تحقيق الغرض الرئيس من تلاوة القرآن وهو التدبر.
- توجيه همم الدارسين والباحثين للكتابة المستفيضة عن أهمية الإنفاق في حل كثير من المشكلات، وكذلك أهميته في القضاء على الآفات المنتشرة في المجتمع، وعن أثره في الحفاظ على المجتمع وبقائه ككل، بل وعلى الفرد كجزء من المجتمع.

فهرس المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم .

1- al8ran alkrym .

٢- أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٢.

2- asas alblagha ،alm2lf: abo al8asm m7mod bn 3mro bn a7md ، alzm5shry gar allh (almtofy: 538h-) ،t78y8: m7md basl 3yon alsod ،alnashr: dar alktb al3lmya ،byrot – lbnan ،al6b3a: alaoly ، 1419 h**1998 – .** m ،3dd alagza2: 2.

٣- أسباب النزول ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

3- asbab alnzol ،alm2lf: abo al7sn 3ly bn a7md bn m7md bn 3ly aloa7dy ،alnysabory ،alshaf3y (almtofy: 468h-) ،alm788: 3sam bn 3bd alm7sn al7mydan ،alnashr: dar al esla7 – aldmam ، al6b3a: althanya ،1412 h**1992 – .** m.

٤- الإمام في بيان أدلة الأحكام، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: رضوان مختار بن غربية، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

4- al emam fy byan adla ala7kam ،alm2lf: abo m7md 3z aldyn 3bd al3zyz bn 3bd alslam bn aby al8asm bn al7sn alslmy aldmsh8y ،alml8b bsl6an al3lma2 (almtofy: 660h-) ،alm788: rdoan m5tar bn ghrbya ،alnashr: dar albsha2r al eslamya – byrot ،al6b3a: alaoly ،1407h**1987 – .**m.

٥- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر– بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

5- alb7r alm7y6 fy altfsyr ،alm2lf: abo 7yan m7md bn yosf bn 3ly bn yosf bn 7yan athyr aldyn alandlsy (almtofy: 745h-) ،alm788: sd8y m7md gmyl ،alnashr: dar alfkr– byrot ،al6b3a:1420h-.

٦- البرهان في علوم القرآن، المؤلف: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، عدد الأجزاء: ٤ .

6- albrhan fy 3lom al8ran ،alm2lf: bdr aldyn m7md bn 3bd allh bn bhadr alzrkshy (almtofy: 794h-) ،alm788: m7md abo alfdl ebrahym ،al6b3a: alaoly ،1376 h**1957 - -** m ،alnashr: dar e7ya2 alktb al3rbya 3ysy albaby al7lbywshrka2h ،3dd alagza2: 4 .

٧- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء : ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).

7- alt7ryrwaltnoyr «t7ryr alm3ny alsdydwtnoyr al38l algdyd mn tfsyr alktab almgyd» ،alm2lf : m7md al6ahr bn m7md bn m7md al6ahr bn 3ashor altonsy (almtofy : 1393h-) ،alnashr : aldar altonsya llnshr – tons ،sna alnshr: 1984 h**3** -dd alagza2 : 30 (oalgz2 r8m 8 fy 8smyn).

٨- التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ .

8- altshyl l3lom altnzyl ،alm2lf: abo al8asm ،m7md bn a7md bn m7md bn 3bd allh ،abn gzy alklby alghrna6y (almtofy: 741h-) ، alm788: aldktor 3bd allh al5aldy ،alnashr: shrka dar alar8m bn aby alar8m – byrot ،al6b3a: alaoly - 1416 h- .

٩- التعريفات الفقهية، المؤلف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١ .

9- alt3ryfat alf8hya ،alm2lf: m7md 3mym al e7san almgddy albrkty ،alnashr: dar alktb al3lmya (e3ada sf ll6b3a al8dyma

fy bakstan 1407h**1986 – ـ**m) ،al6b3a: alaoly ،1424h**2003 – ـ**m ، 3dd alagza2: 1 .

١٠- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ، عدد الأجزاء ٩.

10- tfsyr aby als3od = ershad al38l alslym ely mzaya alktab alkrym ،alm2lf: abo als3od al3mady m7md bn m7md bn ms6fy (almtofy: 982h**ـ**) ،alnashr: dar e7ya2 altrath al3rby – byrot ،، 3dd alagza2 9.

١١- تفسير الشعراوي – الخواطر، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: ٢٠ .

11- tfsyr alsh3raoy – al5oa6r ،alm2lf: m7md mtoly alsh3raoy (almtofy: 1418h**ـ**) ،alnashr: m6ab3 a5bar alyom ،3dd alagza2: 20 .

١٢- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ١٢ جزءًا.

12- tfsyr al8ran al7kym (tfsyr almnar) ،alm2lf: m7md rshyd bn 3ly rda bn m7md shms aldyn bn m7md bha2 aldyn bn mla 3ly 5lyfa al8lmony al7syny (almtofy: 1354h**ـ**) ،alnashr: alhy2a almsrya al3ama llktab ،sna alnshr: 1990 m ،3dd alagza2: 12 gz2ًa.

١٣- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨ .

13- tfsyr al8ran al3zym ،alm2lf: abo alfda2 esma3yl bn 3mr bn kthyr al8rshy albsry thm aldmsh8y (almtofy: 774h**ـ**) ،alm788: samy bn m7md slama ،alnashr: dar 6yba llnshrwaltozy3 ، al6b3a: althanya 1420h**1999 – ـ** m ،3dd alagza2: 8 .

١٤- تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى،٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، عدد الأجزاء: ٣٠ .

14- tfsyr almraghy ،alm2lf: a7md bn ms6fy almraghy (almtofy: 1371h ـ) ،alnashr: shrka mktbawm6b3a ms6fy albaby al7lbywaoladh bmsr ،al6b3a: alaoly،365 h**1946 - ـ** m ،3dd alagza2: 30 .

١٥- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو .

15- tfsyr alnsfy (mdark altnzylw78a28 altaoyl) ،alm2lf: abo albrkat 3bd allh bn a7md bn m7mod 7afz aldyn alnsfy (almtofy: 710h**788** ،ـ) hw5rg a7adythh: yosf 3ly bdyoy ، rag3hw8dm lh: m7yy aldyn dyb msto .

١٦- تفسير مجاهد، المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ٤١٠ هـ - ١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ١.

16- tfsyr mgahd ،alm2lf: abo al7gag mgahd bn gbr altab3y almky al8rshy alm5zomy (almtofy: 104h ـ) ،alm788: aldktor m7md 3bd alslam abo alnyl ،alnashr: dar alfkr al eslamy al7dytha ، msr ،al6b3a: alaoly ،410 h**1989 - ـ** m ،3dd alagza2: 1.

١٧- تهذيب اللغة ،المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى،٢٠٠١م، عدد الأجزاء:٨.

17- thzyb allgha ،alm2lf: m7md bn a7md bn alazhry alhroy ،abo mnsor (almtofy: 370h ـ) ،alm788: m7md 3od mr3b ،alnashr: dar e7ya2 altrath al3rby- byrot ،al6b3a: alaoly،2001m ،3dd alagza2:8.

١٨- التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى:

١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ١.

18- alto8yf 3la mhmat alt3aryf ،alm2lf: zyn aldyn m7md almd3o b3bd alr2of bn tag al3arfyn bn 3ly bn zyn al3abdyn al7dady thm almnaoy al8ahry (almtofy: 1031h-) ،alnashr: 3alm alktb 38 3bd al5al8 throt-al8ahra ،al6b3a: alaoly ،1410h**1990-**m ،3dd alagza2: 1.

١٩- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٤ .

19- gam3 albyan fy taoyl al8ran (tfsyr al6bry) ،alm2lf: m7md bn gryr bn yzyd bn kthyr bn ghalb alamly ،abo g3fr al6bry (almtofy: 310h-) ،alm788: a7md m7md shakr ،alnashr: m2ssa alrsala ،al6b3a: alaoly ،1420 h**2000 -** m ،3dd alagza2: 24 .

٢٠- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠مجلدات).

20- algam3 la7kam al8ran (tfsyr al8r6by) ،alm2lf: abo 3bd allh m7md bn a7md bn aby bkr bn fr7 alansary al5zrgy shms aldyn al8r6by (almtofy: 671h-) ،t78y8: a7md albrdonyw ebrahym a6fysh ،alnashr: dar alktb almsrya - al8ahra ،al6b3a: althanya ، 1384h**1964 -** m ،3dd alagza2: 20 gz2a (fy 10 mgldat) .

٢١- دلالة السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير للدكتور عبد الحكيم بن عبد الله القاسم الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود.

21- dlala alsya8 al8ranywathrh fy altfsyr drasa nzrya t6by8ya mn 5lal tfsyr abn gryr lldktor 3bd al7kym bn 3bd allh al8asm alastaz almsa3d bgam3a almlk s3od .

٢٢- الرسالة، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب ابن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)،

المحقـق: أحمـد شـاكر، الناشـر: مكتبـه الحلبـي، مصـر، الطبعـة: الأولـى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م .

22- alrsala ،alm2lf: alshaf3y abo 3bd allh m7md bn edrys bn al3bas bn 3thman bn shaf3 bn 3bd alm6lb abn 3bd mnaf alm6lby al8rshy almky (almtofy: 204h ـ) ،alm788: a7md shakr ، alnashr: mktbh al7lby ،msr ،al6b3a: alaoly ،1358h**1940/** ـm .

٢٣- روح المعـاني فـي تفسـير القـرآن العظـيم والسـبع المثـاني، المؤلـف: شـهاب الـدين محمـود بـن عبـد الله الحسـيني الألوسـي (المتـوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقـق: علـي عبـد البـاري عطيـة، الناشـر: دار الكتـب العلميـة – بيـروت، الطبعـة: الأولـى، ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس) .

23- ro7 alm3any fy tfsyr al8ran al3zymwalsb3 almthany ،alm2lf: shhab aldyn m7mod bn 3bd allh al7syny alalosy (almtofy: 1270h ـ) ،alm788: 3ly 3bd albary 36ya ،alnashr: dar alktb al3lmya – byrot ،al6b3a: alaoly ،1415 h**3** ـdd alagza2: 16 (15wmgld fhars) .

٢٤- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١١ مجلد (في ترقيم مسلسل واحد)، ومجلد للفهارس.

24- shms al3lomwdoa2 klam al3rb mn alklom ،alm2lf: nshoan bn s3yd al7myry alymny (almtofy: 573h ـ) ،alm788: d 7syn bn 3bd allh al3mry - m6hr bn 3ly al eryany - d yosf m7md 3bd allh ، alnashr: dar alfkr alm3asr (byrot - lbnan) ،dar alfkr (dmsh8 - sorya) ،al6b3a: alaoly ،1420 h**1999 – ـ** m ،3dd alagza2: 11 mgld (fy tr8ym mslslwa7d)،wmgld llfhars.

٢٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٦ .

25- als7a7 tag allghaws7a7 al3rbya ،alm2lf: abo nsr esma3yl bn 7mad algohry alfaraby (almtofy: 393h ـ) ،t78y8: a7md 3bd

alghfor 36ar،alnashr: dar al3lm llmlayyn – byrot،al6b3a: alrab3a 1407 h**1987 – ـ** m ،3dd alagza2: 6 .

٢٦- صفوة التفاسير، المؤلف: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١ .

26- sfoa altfasyr ،alm2lf: m7md 3ly alsabony ،alnashr: dar alsabony ll6ba3awalnshrwaltozy3 – al8ahra ،al6b3a: alaoly ،1417 h **– ـ 1997** m ،3dd alagza2: 1 .

٢٧- العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨ .

27- al3yn ،alm2lf: abo 3bd alr7mn al5lyl bn a7md bn 3mro bn tmym alfrahydy albsry (almtofy: 170h**ـ**) ،alm788: d mhdy alm5zomy ،d ebrahym alsamra2y ،alnashr: darwmktba alhlal ، 3dd alagza2: 8 .

٢٨- غريب القرآن، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

28- ghryb al8ran ،alm2lf: abo m7md 3bd allh bn mslm bn 8tyba aldynory (almtofy: 276h**ـ**) ،alm788: a7md s8r ،alnashr: dar alktb al3lmya (l3lha msora 3n al6b3a almsrya) ،alsna: 1398 h **– ـ 1978**m.

٢٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت،١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣.

29- ft7 albary shr7 s7y7 alb5ary ،alm2lf: a7md bn 3ly bn 7gr abo alfdl al3s8lany alshaf3y ،alnashr: dar alm3rfa - byrot،1379 ،r8m ktbhwaboabhwa7adythh: m7md f2ad 3bd alba8y ،8am b e5raghws77hwashrf 3la 6b3h: m7b aldyn al56yb ،3lyh t3ly8at al3lama: 3bd al3zyz bn 3bd allh bn baz ،3dd alagza2: 13.

٣٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ٤

30- alkshaf 3n 78a28 ghoamd altnzyl ،alm2lf: abo al8asm m7mod bn 3mro bn a7md ،alzm5shry gar allh (almtofy: 538h-) ،alnashr: dar alktab al3rby - byrot ،al6b3a: althaltha - 1407 h**3** -dd alagza2: 4

٣١- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٠ .

31- alkshfwalbyan 3n tfsyr al8ran ،alm2lf: a7md bn m7md bn ebrahym alth3lby ،abo es7a8 (almtofy: 427h-) ،t78y8: al emam aby m7md bn 3ashor ،mrag3awtd8y8: alastaz nzyr alsa3dy ، alnashr: dar e7ya2 altrath al3rby ،byrot – lbnan ،al6b3a: alaoly 1422 ،h**2002 – -** m ،3dd alagza2: 10 .

٣٢- لباب النقول في أسباب النزول، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

32- lbab aln8ol fy asbab alnzol ،alm2lf: 3bd alr7mn bn aby bkr ، glal aldyn alsyo6y (almtofy: 911h-) ، ،db6hws77h: alastaz a7md 3bd alshafy ،alnashr: dar alktb al3lmya byrot - lbnan.

٣٣- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، (مادة:نفق) ، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.

33- lsan al3rb ،alm2lf: m7md bn mkrm bn 3ly ،abo alfdl ،gmal aldyn abn mnzor alansary alroyf3y al efry8y (almtofy: 711h-) ، (mada:nf8) ،alnashr: dar sadr – byrot ،al6b3a: althaltha - 1414 h**3** ،dd alagza2: 15.

٣٤- محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

34- m7asn altaoyl alm2lf: m7md gmal aldyn bn m7md s3yd bn 8asm al7la8 al8asmy (almtofy: 1332h-)،alm788: m7md basl 3yon alsod،alnashr: dar alktb al3lmyh – byrot،al6b3a: alaoly - 1418 h. .

٣٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

35- alm7rr alogyz fy tfsyr alktab al3zyz،alm2lf: abo m7md 3bd al78 bn ghalb bn 3bd alr7mn bn tmam bn 36ya alandlsy alm7arby (almtofy: 542h-)،alm788: 3bd alslam 3bd alshafy m7md،alnashr: dar alktb al3lmya – byrot،al6b3a: alaoly - 1422 h. .

٣٦- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، لخالد بن سليمان المزيني، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م) ، عدد الأجزاء: ٢.

36- alm7rr fy asbab nzol al8ran mn 5lal alktb alts3a drasa alasbab roayawdraya،l5ald bn slyman almzyny،alnashr: dar abn algozy،aldmam - almmlka al3rbya als3odya،al6b3a: alaoly، (1427 h**2006 –** m)، 3dd alagza2: 2.

٣٧- المدخل إلى مذهب الأمام أحمد، المؤلف: عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران (المتوفى: ١٣٤٦هـ)، المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠١، عدد الأجزاء: ١.

37- almd5l ely mzhb alamam a7md،alm2lf: 3bd al8adr bn a7md bn ms6fy bn 3bd alr7ym bn m7md bdran (almtofy: 1346h-)، alm788: d. 3bd allh bn 3bd alm7sn altrky،alnashr: m2ssa alrsala – byrot،al6b3a: althanya ،1401 ،3dd alagza2: 1.

٣٨- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ،المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٥.

38- almsnd als7y7 alm5tsr bn8l al3dl 3n al3dl ely rsol allh sly allh 3lyhwslm (s7y7 mslm) ،alm2lf: mslm bn al7gag abo al7sn al8shyry alnysabory (almtofy: 261h-) ،alm788: m7md f2ad 3bd alba8y ،alnashr: dar e7ya2 altrath al3rby – byrot ،3dd alagza2: 5.

٣٩- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود ابن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ، عدد الأجزاء :٥ .

39- m3alm altnzyl fy tfsyr al8ran = tfsyr albghoy ،alm2lf : m7yy alsna ،abo m7md al7syn bn ms3od abn m7md bn alfra2 albghoy alshaf3y (almtofy : 510h-) ،alm788 : 3bd alrza8 almhdy ،alnashr : dar e7ya2 altrath al3rby -byrot ،al6b3a : alaoly ،1420 h**3** ،dd alagza2 :5 .

٤٠- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر،عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٦ .

40- m3gm m8ayys allgha ،alm2lf: a7md bn fars bn zkrya2 al8zoyny alrazy ،abo al7syn (almtofy: 395h-) ،alm788: 3bd alslam m7md haron ،alnashr: dar alfkr،3am alnshr: 1399h - - **1979**m ،3dd alagza2: 6 .

٤١- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة -١٤٢٠هـ .

41- mfaty7 alghyb = altfsyr alkbyr ،alm2lf: abo 3bd allh m7md bn 3mr bn al7sn bn al7syn altymy alrazy alml8b bf5r aldyn alrazy 56yb alry (almtofy: 606h-) ،alnashr: dar e7ya2 altrath al3rby – byrot ،al6b3a: althaltha - 1420h- .

٤٢- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ .

42- almfrdat fy ghryb al8ran ،alm2lf: abo al8asm al7syn bn m7md alm3rof balraghb alasfhany (almtofy: 502h-) ،alm788: sfoan 3dnan aldaody ،alnashr: dar al8lm ،aldar alshamya - dmsh8 byrot ،al6b3a: alaoly - 1412 h- .

٤٣- الموافقات المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٧ .

43- almoaf8at alm2lf: ebrahym bn mosy bn m7md all5my alghrna6y alshhyr balsha6by (almtofy: 790h-) ،alm788: abo 3byda mshhor bn 7sn al slman ،alnashr: dar abn 3fan ،al6b3a: al6b3a alaoly 1417h**1997** /-m ،3dd alagza2: 7 .

٤٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٢ .

44- nzm aldrr fy tnasb alayatwalsor ،alm2lf: ebrahym bn 3mr bn 7sn alrba6 bn 3ly bn aby bkr alb8a3y (almtofy: 885h-) ،alnashr: dar alktab al eslamy ،al8ahra ،3dd alagza2: 22 .

٤٥- النكت والعيون(تفسير الماوردي)، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، عدد الأجزاء: ٦ .

45- alnktwal3yon(tfsyr almaordy) ،alm2lf: abo al7sn 3ly bn m7md bn m7md bn 7byb albsry albghdady ،alshhyr balmaordy (almtofy: 450h-) ،alm788: alsyd abn 3bd alm8sod bn 3bd alr7ym ،alnashr: dar alktb al3lmya - byrot / lbnan ،3dd alagza2: 6 .

٤٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م،تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥ .

46- alnhaya fy ghryb al7dythwalathr ،alm2lf: mgd aldyn abo als3adat almbark bn m7md bn m7md bn m7md abn 3bd

alkrym alshybany algzry abn alathyr (almtofy: 606h-) ،alnashr: almktba al3lmya - byrot ،1399h**1979 –** -m،t78y8: 6ahr a7md alzaoy - m7mod m7md al6na7y ،3dd alagza2: 5 .

٤٧- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م،عدد الأجزاء: ١٣ (١٢، ومجلد للفهارس)

47- alhdaya ely blogh alnhaya fy 3lm m3any al8ranwtfsyrh،wa7kamh،wgml mn fnon 3lomh ،alm2lf: abo m7md mky bn aby 6alb 7ٍmّosh bn m7md bn m5tar al8ysy al8yroany thm alandlsy al8r6by almalky (almtofy: 437h-) ، alm788: mgmo3a rsa2l gam3ya bklya aldrasat al3lyawalb7th al3lmy - gam3a alshar8a ،b eshraf a. d: alshahd alboshy5y ، alnashr: mgmo3a b7oth alktabwalsna - klya alshry3awaldrasat al eslamya - gam3a alshar8a ،al6b3a: alaoly ،1429 h**2008 –** -m،3dd alagza2: 13 (12،wmgld llfhars)

٤٨- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١ .

48- alogyz fy tfsyr alktab al3zyz ،alm2lf: abo al7sn 3ly bn a7md bn m7md bn 3ly aloa7dy ،alnysabory ،alshaf3y (almtofy: 468h-) ، t78y8: sfoan 3dnan daoody ،dar alnshr: dar al8lm , aldar alshamya - dmsh8 ،byrot ،al6b3a: alaoly ،1415 h**3** -dd alagza2: 1 .